أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة
الاثنين
16 يونيو 2025
20 ذو الحجة 1446هـ
العدد 32

لعمامرة... حيادٌ مائل

«الإنسان أولاً... لو أراد العالم»

تتصاعد النزاعات المسلحة في الشرق الأوسط، وتتفاقم المأساة المنسية في السودان، فتتحوّل حياة الملايين هنا وهناك إلى جحيمٍ يومي. بين قصفٍ عشوائي، ونزوحٍ جماعي، ومجاعاتٍ مُدبّرة، تذوبُ حقوق الإنسان الأساسية في صراعات الجيوسياسية، بينما يقف المجتمع الدولي عاجزًا — أو ربما غير راغب — في وضع حدٍّ لهذه الكوارث.

منذ اندلاع الحرب في السودان قبل أكثر من عامين، تحوّلت البلاد إلى ساحة مفتوحة للفظائع؛ تنوّعت أشكالها بين المذابح والتشريد، وتعرّض مئات الآلاف من النساء للعنف الجنسي كسلاح حرب. وفي دارفور، تُرتكب مجازر ممنهجة على أساس عِرقي تُذكّر بأحلك أيام الإبادة الجماعية في مطلع الألفية.

لكن ما يؤلم أكثر هو تجاهل العالم، ففي حين تُهدر المليارات على حروب أخرى، يعاني 25 مليون سوداني من انعدام الأمن الغذائي، بينهم أطفال يموتون جوعًا في المخيمات، حيث بات «الأمباز» هو الطعام الأساسي للنازحين، بينما ينهار النظام الصحي في الحواضر والأرياف، وتستمر الميليشيات في تجنيد الأطفال. وسط كل هذا، يظل السؤال قائمًا: لماذا لا يُعتبر السودان أولوية دولية؟

وعلى بُعد آلاف الكيلومترات، تواصل إسرائيل ارتكاب الجرائم في غزة تحت ذريعة «الدفاع عن النفس»، بينما تُحاصر المدنيين، وتستهدف المستشفيات، وتُدمّر البنية التحتية بشكلٍ ممنهج.

ولا شك أن التصعيد الأخير بين إسرائيل وإيران يزيد الطين بلّة، إذ يهدد بتوسيع رقعة الحرب إلى لبنان وسوريا واليمن، حيث يعيش ملايين المدنيين تحت رحمة صراعاتٍ بالوكالة. وكما هو الحال في السودان، تُستخدم الشعوب كوقودٍ لمصالح القوى الكبرى، وتُختزل حياتهم في أرقامٍ مجردة ضمن تقارير إخبارية عابرة.

المأساة المشتركة بين السودان وشعوب أخرى تكمن في عجز النظام الدولي؛ فمجلس الأمن مشلول بحقّ النقض (الفيتو)، والمنظمات الإنسانية تعمل بموارد شحيحة، والدول الغنية تختار التدخل وفقًا لمصالحها، لا وفقًا لمبادئ العدالة. ووسط كل هذا الخراب، سيتذكّر التاريخ دومًا أن العالم كان يملك الأدوات لوقف الكارثة... لكنه اختار ألا يفعل.

أفق جديد
أسبوعية سياسية شاملة

رئيس التحرير
عثمان فضل الله

تصدر عن

MAARIF CENTER FOR STRATEGIC STUDIES LTD
REGISTERED OFFICE OF THE COMPANY IS SITUATED AT:
UGANDA، CENTERAL، KAMPALA، CENTERAL DIVISION، BUKESA، NSALO
POSTAL ADDRESS 177732
KAMPALA GPO

مقابلة

من ثائر الاستقلال إلى مدبّر الانقسام

أسياس أفورقي... الرجل الذي يلعب بالظلال

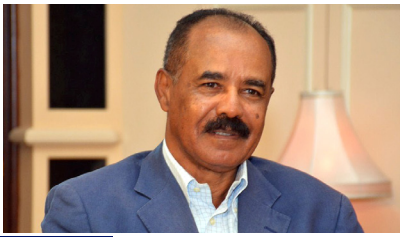

45-47

رياضة

من رحم المعاناة ..

مدرب السودان يتفوق على عمالقة غانا ويحصد الذهب!

51-52

الغلاف

مع الحدث
إسرائيل لا تنتصر. يجب ألا يستسلم ترامب لمطالب جديدة بالمساعدة
12-14

نزوح
«الدبيبات»... حين تهرب المدن من ساكنيها
18-20

أزمات
القضارف... الصراع من أجل قطرة ماء
26-27

تقرير
تحالف «صمود» يطرح رؤية شاملة لوقف الحرب وإعادة بناء السودان
30-31

تقرير
«القوقو»... كساءُ الكرامة في زمن الحرب
35-36

نافذة دولية
مثلث الرمال... حين يعبر النزاع السوداني حدود الخرائط
37-39

وجهات نظر

زلزال طهران
وائل محجوب
7-8

على حافة الأفق
العقل السياسي السوداني: تفكيك الأسطورة وإعادة البناء
د. صلاح عمر
9-11

هذا زمان المراييع
القراقيع والرويبضات الأفادغ
حيدر المكاشفي
15-17

الصمغ العربي السوداني: تأثير الحرب وتحديات القيمة المضافة
عمر سيد أحمد
21-25

ملفات عاجلة أمام رئيس الوزراء
طاهر المعتصم
28-29

منظمة العنف، والاستبداد، والانتقام بالحرب على المدنيين والثورة
وجدي كامل
32-34

قنبلة السودان الموقوتة
إلى متى يظل العالم عاجزًا أمام أكبر كارثة
عصام عباس
40-42

رسائل للأحباب: السفير جمال محمد إبراهيم
عثمان يوسف خليل
43-44

رمطان لعامرة... المبعوث الذي استمع بـ«أذن واحدة»

ملخص

في ظل الحرب المستعرة في السودان، أثار أداء رمطان لعامرة، المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة، جدلًا واسعًا، مع تزايد الاتهامات بانحيازه الصريح للسلطة الانقلابية بقيادة البرهان، بدلًا من القيام بدوره كوسيط محايد.

كشفت تقارير عن سعي فريق تابع له لإقناع الاتحاد الإفريقي بعودة السودان عبر مزاعم عن تشكيل حكومة مدنية، وقطع الصلة بجماعة الإخوان المسلمين، في خطوة وُصفت بأنها تكرار لمناورات سابقة لا تعكس تغييرًا حقيقيًا.

الخطة المطروحة من قبل البرهان لتشكيل حكومة انتقالية لاقت رفضًا واسعًا من قوى الثورة التي اعتبرتها محاولة لإعادة تدوير السلطة، في المقابل، دعا البعض لتقييمها فنيًا ضمن عملية سياسية أوسع.

في النهاية، تتصاعد الدعوات في الأوساط السودانية لإقالة رمطان لعامرة واستبداله بمبعوث أكثر مهنية وحيادية، يعيد الثقة في دور الأمم المتحدة، ويعمل على فتح مسار سياسي جاد في بلد تنهشه الحرب والجوع والتشظي.

أديس أبابا – أفق جديد

وسط حرب مدمّرة تعصف بالسودان، وتعدد المبادرات المحلية والدولية، يبرز اسم رمطان لعمامرة، المبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة إلى السودان، كأحد أكثر الشخصيات إثارة للجدل في الآونة الاخيرة.

فبدلًا من لعب دور الوسيط المحايد، تتزايد الاتهامات ضد لعمامرة بالانحياز الصريح لصالح السلطة الانقلابية في بورتسودان، فيما اعتُبر انتكاسة لمسار الوساطة الأممية، وتحولًا خطيرًا عن مهام البعثة المفترض بها الوقوف على مسافة واحدة من الجميع.

تبنٍ أعمى لحكومة بلا شرعية

تحدثت مصادر دبلوماسية لـ«أفق جديد» بشأن تحركات المبعوث الأممي في الأزمة السودانية، وقالت: «إن لعمامرة يعمل على تسويق خطة السلطة الانقلابية بقيادة عبد الفتاح البرهان كخارطة طريق لإنهاء الحرب، متجاهلًا أن هذه الحكومة قد فُرضت بقوة السلاح، ومجمّدة عضويتها في الاتحاد الإفريقي».

واستطردت المصادر، «وبدلاً من الانفتاح على القوى المدنية المقاومة للانقلاب، اتجه لعمامرة إلى تلميع صورة المجلس السيادي برئاسة عبد الفتاح البرهان، ما يمثل انحرافًا فادحًا عن مهمته كمبعوث أممي».

ضغوط خلف الكواليس

وكشفت معلومات حصلت عليها «أفق جديد» عن وصول فريق تابع للمبعوث الأممي إلى أديس أبابا، لإجراء لقاءات مع سفراء الدول الإفريقية، في محاولة لإقناعهم بإعادة السودان إلى الاتحاد الإفريقي.

واستند الوفد الأممي إلى مزاعم مفادها أن البرهان شكّل «حكومة مدنية» يرأسها كامل إدريس، والتزم بإبعاد جماعة الإخوان المسلمين عن الحكم.

لكن هذه التحركات، وفق مصادر دبلوماسية، قوبلت بتشكيك واسع، لكونها تكرارًا لمناورات سابقة، تستهدف كسر العزلة الدولية بوعود لا تغيّر جوهر السلطة الانقلابية.

بعثة فقدت البوصلة

تتزايد الدعوات في الأوساط السودانية لمراجعة مهمة لعمامرة أو حتى إقالته، وسط اتهامات بأنه

تحوّل من وسيط إلى ناطق غير رسمي باسم حكومة الأمر الواقع.

يقول محمد الفكي سليمان، عضو مجلس السيادة السابق، لـ«أفق جديد»: «لم يحرز لعامرة أي تقدم يُذكر(..)، بل بات جزءًا من أحد معسكرَي الحرب».

ويتساءل: «هل يستطيع أن يجيب عن سؤال بسيط: مع من التقى من قوى الثورة؟ وماذا سمع منهم؟».

تفويض محدود أم أداء منحاز؟

يعتبر يوسف عزت، المستشار السياسي السابق لقائد قوات الدعم السريع، أن لعامرة ليس مبعوثًا أمميًا بتفويض من مجلس الأمن، بل مجرد مبعوث شخصي للأمين العام للأمم المتحدة، ولا يملك صلاحيات تنفيذية.

وأردف: «هو أقرب لفاعل خير، ولا يملك أدوات الضغط أو التأثير».

ويرى عزت أن تعاطي لعامرة مع الأزمة السودانية اقتصر على إدارتها لا حلها، ولم يُقدّم أي مبادرة متكاملة، مكتفيًا بمحاولة فاشلة لجمع الطرفين في جنيف.

رؤية غير مكتملة وتواصل مبتور

يصف القيادي بقوى الحرية والتغيير مدني عباس مدني، أداء لعامرة بـ«الضعيف وغير المنضبط»، مؤكدًا أن المشاورات التي أجراها لم تُفضِ إلى نتائج واضحة.

ويشير مدني إلى إهمال القوى الديمقراطية والتركيز على السلطة القائمة، مما عزز الانطباع بالانحياز.

إلا أن القيادي في الحزب الاتحادي الأصل حاتم السر، يعتبر أنه يجب أن يتم تقييم هادئ لأداء لعامرة، مشيدًا بخبرته الدبلوماسية.

ويرفض السر تقييمات «الانحياز»، قائلاً: «القوى السياسية نفسها تتحمل جزءًا من مسؤولية التشظي والعجز عن تقديم بديل موحّد».

خارطة بلا طريق

تُمثّل «خارطة الطريق» التي طرحها البرهان لتشكيل حكومة انتقالية، إحدى أبرز نقاط الانقسام حول دور الأمم المتحدة في الأزمة السودانية.

يؤكد الأمين السياسي لحزب المؤتمر السوداني شريف محمد عثمان في حديثه بأن خارطة الطريق هي عبارة عن «مشروع لتثبيت سلطة البرهان».

بينما يرى القيادي بالقوى المدنية مدني عباس مدني، «أنها لا تحمل حلًا بل صفقة تجميلية للسلطة، تحاكي سابقاتها الفاشلة.

في المقابل، يقول حاتم السر إن» الخارطة تحمل بعدًا فنيًا لفض الاشتباك العسكري، ويجب أن تتبعها عملية سياسية حقيقية بقيادة رئيس الوزراء كامل إدريس».

فيما يقول المستشار السابق لقائد الدعم السريع يوسف عزت: «إن خارطة الطريق هي مجرّد نسخة مكررة من حوار الوثبة، ولا تملك أي شرعية».

فشل في التنسيق وغياب للمبادرة

يشير محمد الفكي سليمان إلى غياب التنسيق، قائلاً: «لم يتواصل لعامرة مع القوى المدنية مطلقًا».

ويذكر مدني عباس أن مشاورات البعثة لم تُنتج تصورًا موحدًا أو توحّد المنصات القائمة.

بينما يؤكد شريف محمد عثمان أن لعامرة «غاب عن كل شيء»، تاركًا الساحة للصراعات الإقليمية والدولية.

بدوره يؤكد يوسف عزت أن غياب التنسيق مع الجامعة العربية والمنظمات الإفريقية يجعل دور لعامرة «شبه معدوم».

بينما يدافع القيادي الاتحادي حاتم السر عن وجود تنسيق للمبعوث الأممي رمطان لعامرة، وأصفًا إياه «بالتنسيق عالي المستوى».

بعثة فقدت ثقة السودانيين

تُجمع إفادات القيادات المدنية على أن رمطان لعامرة لم ينجح في أداء مهمته، لا سياسيًا ولا إنسانيًا، وتعدد سلبيات لعامرة في الملف السوداني وهي» الانحياز لطرف، وضعف المبادرة، وغياب التنسيق».

وكل هذه الانتقادات أنتجت دعوات صريحة لإقالته من المنصب، واستبداله بمبعوث أكثر مهنية وحيادية.

في السودان اليوم، حيث الجوع والدمار يطغيان على أي حديث عن السلام، تبقى بعثة الأمم المتحدة مطالبة بإجابات.

هل تستمر الأمم المتحدة في دعم بعثة فقدت حيادها، أم تفتح الطريق أمام وسيط جديد لا يسمع بإذن واحدة؟

منظمة العنف، والاستبداد، والانتقام بالحرب على المدنيين والثورة

وجدي كامل

ملخص

يرى الكاتب أن الحرب الحالية في السودان ليست مجرد صراع مسلح بل هي تتويج لنزعة تضليل طويلة، والحكومة الفعلية تروّج لروايات كاذبة عن انتصارات وشيكة، بينما الواقع على الأرض مليء بالدماء والدمار، و المشهد الإعلامي يجمّل الصورة، بينما تُدار الحرب فعليًا من قِبل تنظيم الإخوان المسلمين الذي يهدف لاستعادة سلطته ولو على أنقاض الوطن.

يؤكد أن العنف متجذر في تاريخ التنظيم منذ نشأته، اختار تنظيم الإخوان في السودان العنف وسيلةً لتصفية الخصوم وفرض رؤاه، بدءًا من قوانين سبتمبر وحتى انقلاب 1989، حيث أن الحروب كانت أدوات دائمة لفرض السلطة، سواء في الجنوب باسم الدين، أو في دارفور من أجل الثروات، وكلها

خطوات بناء دولة مدنية ديمقراطية عديدة من بينها تفكيك الشبكات الاقتصادية السرية التي شكّلها النظام، عبر رقابة صارمة وقضاء مستقل، واسترداد الأموال المنهوبة من الخارج بالتعاون الدولي، وإعادة هيكلة الاقتصاد لصالح المبادرات المحلية والقطاع العام وإصلاح المؤسسات المالية لتقليص غسل الأموال والتمويل غير المشروع.

يعتبر الكاتب أن الخطر الأكبر هو النسيان أو التغاضي المتعمّد عبر الإعلام المضلل، فلا بد من توثيق جرائم الفساد، وربط المال الاستبداد، الشعب الواعي بمصادر تمويل الاستبداد هو القادر على إسقاطه وبناء دولة حديثة تستند إلى العقلانية لا الخداع.

تمثل الحرب الحالية في السودان ذروة نزعة التضليل التاريخي والإعلامي والثقافي. بشاعتها على الأرض لا تخفى، ويومياتها الدامية شاهدة، بينما يروج إعلام الحكومة – حكومة «الأمر الواقع» – لرواية مضادة: عن حرب في نهايتها، وانتصارات وشيكة، وزيارات ميدانية لرئيس وزراء بورتسودان، الذي شاهدناه يتلقى التهاني ويتبادل التحايا مع المواطنين، وكأنه يحتفل بمناسبة سعيدة خاصة لا تهم أحدًا سواه، ولا يعرف الناس عنها شيئًا.

وراء هذا المشهد، تتكشف الحقيقة. فالحرب تُدار عسكريًا ومدنيًا بواسطة تنظيم الإخوان المسلمين. هذا التنظيم الذي بدد أموال الناس، ورهن موارد البلاد، وباع أملاكها، وكاد أن يقتل ثلث سكانها فقط كي يحكم، ولا يتعرض لأي مساءلة قانونية عن جرائمه.

اللجوء إلى الحرب ليس جديدًا على هذا التنظيم. فمنذ نشأته، ظل في مواجهة دائمة مع التيارات الثقافية والسياسية السائدة في السودان، رافضًا الحوار، ومفضّلًا تصفية الخصوم بالعنف. من المطالبات بفرض الدستور الإسلامي، إلى المواجهات الطلابية، إلى تمرير قوانين سبتمبر 1983، ثم انقلاب 30 يونيو 1989... العنف ظل حلاً استراتيجيًا.

لقد بدأت تلك المرحلة التراجيدية بحرب الجنوب، التي وُظِّفت لقمع المطالب السياسية والثقافية والاقتصادية، باستخدام شعارات دينية زائفة، وتضليل بالدين لخدمة أهداف سلطوية.

ثم جاءت حرب دارفور عام 2003، لتكشف الوجه الحقيقي مجددًا بتفكيك النسيج الاجتماعي، وإعادة تشكيل الخريطة السكانية، ونهب موارد الذهب واليورانيوم والنحاس. إنها حرب لإعادة إنتاج السلطة على حساب المجتمعات المحلية.

أما الحرب الراهنة، فهي حرب انتقام مباشر من ثورة ديسمبر 2018. عندما أسقط الشعب رأس النظام، وزجّ بعدد من رموزه في السجون، وبدأت لجنة إزالة التمكين بتفكيك المنظومة الاقتصادية الفاسدة... هنا بدأ الرد.

ورغم أن الحرب تبدو على السطح صراعًا بين الجيش والدعم السريع، إلا أنها أعمق من ذلك. لقد صُوِّبت نيرانها نحو المدنيين وتحالفاتهم السياسية. هدفها إفشال الانتقال الديمقراطي، من خلال تحالفات ضمّت اللجنة الأمنية، والحركات المسلحة، وقوى سياسية متربصة بالثورة، تمارس الإتجار في سوق السياسة.

نجحت اللجنة الأمنية، في البداية، في إخفاء أجندتها: إعادة إنتاج النظام القديم. ثم جاءت لحظة الانتقام الكبرى عبر مجزرة الاعتصام، ثم تفجير الحرب من قلب العاصمة، في الأحياء السكنية والمناطق الحيوية. النتيجة: قتل، تشريد، نزوح، ونهب.

وبينما تغيب الإحصاءات الدقيقة، فإن مشاركة القوى الأمنية والعسكرية تمثل امتدادًا مكشوفًا للنظام السابق، الذي لم يُخفِ تهديده باستخدام القوة حتى قبل اندلاع الحرب.

ولتعميق مشروع الانتقام، جرى توظيف قسط من الأموال المنهوبة لبناء سردية إعلامية خبيثة، تقسّم الرأي العام، وتفكك القوى المدنية. تم استخدام أدوات استخباراتية وإعلامية متقدمة لترويج رواية «حرب الكرامة» ضد الدعم السريع، رغم أن الأخير صنيعة النظام نفسه، استخدمه لقمع الشعب من قبل.

لقد أضاعت قوى الثورة فرصة ثمينة. غابت الإدارة الموحدة، وضعف التنسيق، ولم تستطع أن تقضي على هذه المنظومة الأخطر على استقرار السودان. منظومة هي التهديد الأكبر أمام قيام دولة مدنية ديمقراطية حديثة.

اليوم، بعد اتساع الخراب، تتعالى الأصوات المطالبة بوقف الحرب. ولكن وقف الحرب لا يكفي. لا بد من إعادة تعريفها: هذه ليست مجرد حرب بين جيشين، بل حرب انتقام من الحاضر، ومحاولة لإلغاء التاريخ، وتشويه المستقبل. وقف الحرب يجب أن يقترن بتجريم قانوني لهذا التنظيم، حتى لا يُلدغ السودان مرة أخرى من نفس الجُحر.

إن أي توافق سياسي في سودان المستقبل يجب أن يُبنى على رفض قاطع ليس فقط للتنظيم الإخواني فقط، بل لثقافة اللعب بالدين كورقة سياسية. السياسة يجب أن تقوم على المصالح الوطنية، التنمية، والعقلانية، لا على الاستغلال الديني والتضليل الأخلاقي.

ولتكون الأفكار مشروعًا قابلًا للتطبيق في ظروف سلمية مدنية، علينا:

1. تفكيك الشبكات الاقتصادية السرية:

لا يكفي إسقاط النظام سياسيًا؛ لا بد من تفكيك البُنى الاقتصادية التي أنشأها: من الشركات الواجهة، والمنظمات الخيرية الزائفة، إلى العلاقات البنكية المشبوهة. هذا يتطلب أجهزة رقابة قوية، وقضاء مستقل، ومخابرات مالية متقدمة.

2. استرداد الأموال المنهوبة:

عبر لجان قانونية، واتفاقيات دولية (مثل اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد)، وملاحقة الأموال

المهربة والمجمّدة بالخارج، بمساعدة دعم قانوني دولي فعّال.

3. إعادة هيكلة الاقتصاد السوداني:

عبر تقليص سيطرة التنظيمات السياسية على القطاعات الإنتاجية، وتقوية القطاع العام، ودعم الشركات الصغيرة والمبادرات المحلية المستقلة، مع شفافية مالية تجاه اقتصاديات الأحزاب.

4. إصلاح المؤسسات المالية:

مراجعة دور البنوك في غسل الأموال والتمويل السياسي، وتطبيق حوكمة صارمة وفقًا لمبادئ الشفافية الدولية (مثل FATF).

5. تحصين المستقبل:

بوضع قوانين تمنع احتكار الدين أو الاقتصاد من قبل أي جهة سياسية. وهذا يتطلب تفعيل قوانين تضارب المصالح، وتوسيع دور الإعلام الاستقصائي والمجتمع المدني في كشف الفساد.

سياسيًا، لا يمكن الحديث عن دولة مدنية ديمقراطية دون تفكيك أدوات الهيمنة الاقتصادية والتنظيمية لأي تيار يستخدم الدين كسلاح.

وأخيرًا، يتبدى الخطر الأكبر في النسيان، سواء أكان نسيانًا ذاتيًا أو بفعل التضليل الإعلامي. لا بد من نشر الوعي، وتوثيق جرائم الفساد المالي، وكشف كيف ارتبط المال بالاستبداد.

إن الشعب الذي يعرف كيف يُموَّل الاستبداد، يعرف كيف يُقاومه ويطيح بأركانه، ويبطل مفعول ثقافته.

على حافة الأفق
العقل السياسي السوداني:
تفكيك الأسطورة وإعادة البناء

د. صلاح عمر

ملخص

يتناول المقال مفهوم العقل السياسي وموقعه في الأزمة السياسية، لأن العقل السياسي ليس قرارات متفرقة، بل طريقة تفكير منهجية تحدد كيف يُفهم الشأن العام والعلاقة بين الدولة والمجتمع، ويتكوّن عبر تراكمات تاريخية وثقافية، ويتأثر بالتحولات والوقائع المتغيرة.

لعبت الأيديولوجيات – يسارية وإسلامية – دورًا كبيرًا في تشكيل العقل السياسي بعد الاستقلال،ورغم ما قدمته من طاقة فكرية، إلا أنها تحولت إلى أدوات للشرعية السياسية والانغلاق الفكري، وغلب على الخطاب السياسي الجمود والعقائدية، وغابت البراغماتية، مما أعاق تأسيس عقل سياسي واقعي ومتوازن.

أدى تكرار الحكم العسكري إلى ترسيخ قناعة بأن الجيش طرف سياسي مشروع لحل الأزمات، مما أضعف الثقافة المدنية وزاد من هشاشة الاستقرار. العقل السياسي المتأثر بالعسكرية فقد الثقة في العملية الديمقراطية، وأصبح أسيرًا لفكرة الحلول القسرية والانقلابات، مما عمّق الأزمة السياسية والاجتماعية.

يخلص المقال إلى أن العقل السياسي السوداني نتاج محددات تاريخية وثقافية معقدة، شكلته عوامل الاستعمار والهوية والانقلابات والحداثة المشوهة. وفي المقالات اللاحقة، يُنتقل للبحث في ملامحه التفصيلية، ثم ما يشبه عقل الثورة الصاعد، قبل أن تحاصره نزعة الحرب وتعيد تشكيله من جديد.

تتبدى صورة العقل السياسي كمرآة تعكس فهمنا للسلطة والمجتمع والتاريخ، لسنا أمام وصفه جاهزة، بل أمام نمط ذهني معقد تشكل على امتداد التجربة البشرية في مواجهة الحكم التنظيم والخلاف، لكن ما الذي نعنيه حين نقول العقل السياسي؟ وكيف يكون مفتاحًا لفهم أزمتنا المتكررة.

العقل السياسي ليس مجموعة قرارات متفرعة، بل طريقة منهجية في رؤية الأشياء، ضد البنية الذهنية التي تحدد كيف نفكر في الشأن العام، وكيف نتصور العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بين القانون والعرف، بين الدولة والمجتمع. قطعًا العقل السياسي في أي مجتمع لا يولد مكتملًا بل يتشكل عبر تراكمات من التاريخ، الثقافة، صدمات المجتمع، وكذلك من التأويل المستمر للواقع المتغير، وإذا نظرنا لتشكيل العقل السياسي نجد أن هناك عددًا من العوامل والمحددات أسهمت عبر التاريخ في تشكيله، ويمكن أن نعددها أدناه:

الإرث الاستعماري، أو مثل الحكم الثنائي تجربه استعمارية مركبة أنتجت دولة موروثة غير متجانسة من حيث البنية الاجتماعية والسياسية، وذلك من خلال اعتماده -أي الاستعمار- سياسة فرق تسد، إذ تعمق الانقسام بين الشمال والجنوب، وبين القبائل والأطراف، فأنشأ مناطق مغلقة، ومنع التعليم والتنقل بين بعض المناطق مما ساهم في تكريس عزلة ثقافية وتنموية بين جبهات البلاد .

كذلك شكل المستعمر جهاز دولة مركزي ذو طابع إداري صارم، لكنة مفصول عن القاعدة الاجتماعية، فانتقلت هذه الدولة المركزية البيروقراطية إلى ما بعد الاستقلال دون إصلاح يربطها بالمجتمع أو بدمج الأطراف في عملية صنع القرار، وأوجد الاستعمار أيضًا نخبة من المتعلمين في المدن، وخصوصًا في الوسط النيلي، وربطها بالإدارة مما عزز احتكار المركز للغرض والتمثيل السياسي، وخلق شريحة تدير الدولة بذهنية استعمارية لاحقاً، ومن جانب آخر شجع البيوتات الطائفية الدينية وتحديدًا طائفتي الأنصار والختمية على تأسيس أذرع سياسية لها، فولج حزبا الأمة والشعب الديمقراطي الحياة السياسية ممثلين لهاتين الطائفتين، مما جعل هناك خلطًا بين السياسة والطائفة، كما أن الاستعمار أهمل مسألة التنمية المتوازنة، فترك الجنوب، دارفور، جبال النوبة، وشرق السودان في حالة من التهميش الممنهج، مما جعل مشروع الدولة الوطنية لاحقًا يبدأ من قاعدة غير متكافئة.

الهوية والانتماء، عامل آخر من عوامل تشكيل العقل السياسي السوداني، إذ مثل سؤال الهوية واحدًا من أعقد الأسئلة التي واجهت الدولة السودانية منذ الاستقلال، إذ لم تحسم العلاقة بين الانتماءات الثقافية المتعددة (العربية، الأفريقية، الإسلامية، المسيحية، النيلية، الصحراوية وغيره)، كما أدى غياب مشروع وطني جامع للهوية إلى انقسام المجتمع إلى دوائر متصارعة من الولاء: الولاء العقلي، الولاء الديني، والولاء الجهوي مقابل ولاء الدولة. وكذلك جرى تضخيم الهوية العربية الإسلامية على حساب الهويات المحلية والإفريقية، مما أدى إلى شعور بالتهميش لدى مكونات مجتمعية كبرى خاصة في الهامش السوداني، وهذا أدى إلى فشل النخب السياسية في صياغة عقد اجتماعي يقوم على المواطنة المتساوية، واستمرت في استخدام الهوية كأداة تعبئة سياسية لا كأفق جامع، مما جعلها -أي الهوي- أداة إقصاء كما تم إبان فترة حكم نميري وتطبيق قوانين سبتمبر، وكذلك الخطاب الإسلاموي في فترة الإنقاذ، مما

فاقم في هشاشة النسيج الوطني، وعلى إثر ذلك تنامت الحركات المسلحة مثل أنانيا، والحركة الشعبية، وحركات دارفور التي رفعت مطالب الهوية الثقافية والإثنية كأداة نضال ضد مركزية هوية الدولة، وعليه ظل العقل السياسي السوداني ممزقًا بين مركز يسعى لفرض هوية واحدة على الدولة وهامش يقاوم هذا الاحتكار، مما منع تشكيل هوية سودانية جامعة تبنى على التنوع لا الإنكار.

الحداثة المشوهة في العقل السياسي: ويعنى بها عملية دخول عناصر في الحداثة السياسية أو الاجتماعية أو التغذية إلى مجتمعنا، مما أنتج تحولات بنيوية وفكرية تعيد تشكيل طريقة التفكير أو آليات الحكم فتصبح الحداثة سطحية انتقائية أو محصورة في المظاهر لا في الجوهر، ولنا أن نعدد مظاهر الحداثة المشوهة في الآتي:

الانتقال الشكلي من التقليد إلى الحداثة، حيث استدعينا أدوات الدولة الحديثة (برلمان انتخابات، دستور، أحزاب) لكننا لم تحدث تغيرات جوهرية في مفاهيم مثل المواطنة، المحاسبة أو فصل السلطات، يمكن لنا أن نقارن بما تم في الهند آنذاك.

تبني مؤسسات حديثة دون عقل مؤسسي وتجلى ذلك في افتقار هذه المؤسسات من وزارات وبرلمانات بالأشخاص لا بالقوانين .

نخب «متمدنة» بلا تحديث معرفي، فكثير من السياسيين تلقوا تعليماً حديثاً في المدن أو الخارج لكنهم ظلو يتبنون منطقاً قبلياً أبوياً في الحكم.

الشكل الدستوري بلا مضمون، ما أكدته مجموعة الدساتير وتعديلاتها من الانتقالات السياسية، فكانت مجرد ترتيبات فوقية غالبًا ما تنقلب عليها القوى المسلحة أو النخب الحاكمة. مؤكد أن الحداثة المشوهة دفعت بتأثيرها على العقل السياسي وجعلته ذو ازدواجية في المرجعية، يتحدث السياسي بلغة المدينة والدولة الحديثة لكنه يمارس السلطة بمنطق الغنيمة والزعامة التقليدية، وظل يتأرجح بين الماضي والمستقبل. وأصبح من الصعوبة أن يؤسس لسياسات مستدامة لأن العقل السياسي يعيش انفصامات بين خطاب التحديث وممارسة الجمود. وكل هذا قاد إلى ضعف الثقة الشعبية، فالمواطن لا يثق في مؤسسات الدولة لأنها لم تؤسس على شرعية حقيقية بل على أشكال مزيفة.

الأيديولوجية السياسية:

وهي الأخرى لعبت دورًا مركزيًا في تشكيل العقل السياسي بعد الاستقلال، حيث هيمنت التيارات العقائدية الكبرى على المشهد السياسي، وأثرت في خطاب وممارسة النخب. وأولى التيارات الأيديولوجية في السياسة السودانية هي أيدولوجيا اليسار وتحديدًا الماركسية منها، ولعبت دورًا كبيرًا في عملية التنوير، واستهدفت جماعات بعينها، الطبقة العاملة، المزارعين والحركة الطلابية، واستطاعت أن تبني منابر قوية وسطها، ومن ضمن تيارات أيدولوجية اليسار كانت الحركة العربية القومية التي قتلها البعثيون والناصريون، ولم يكن انتشارهم مساوٍ لأيديولوجيا الحزب الشيوعي السوداني. وعلى وقع هذه أيديولوجيا جاءت أيديولوجيا الإسلام السياسي كترياق مضاد، ونجحت في الاستيلاء على السلطة من خلال انقلابها عام 1989، حيث أسست عقلية تقوم على احتكار الحقيقة، وهي صفة ملازمة للأيديولوجيا، ومنها سعت لأسلمة الدولة والمجتمع وتقويض المؤسسات المدنية والتشريعية، على الرغم من أن وجود الأيديولوجيا السياسية علي المشهد السياسي السوداني وافدة بالحيوية الفكرية، إلا أنها لم تسلم من الانقسامات لأنها استخدمت الأيدولوجيا كأداة للشرعية السياسية، وليس كمنهج تحليلي مرن، مما جعلها تنكفئ على ذاتها، وتتحول إلى مجموعات مغلقة لتنتج بدائل مقبولة للجميع - أي أنها أعاقت تشكيل عقل سياسي براغماتي واقعي يوازن بين المبادئ والمصالح وبين الثوابت الوطنية والتنوع المجتمعي .

الخبرة العسكرية والانقلابات، وهي الأخيرة في قائمة محددات تشكيل العقل السياسي التي ذكرناها، وهي لا شك ذات تأثير محوري، إذ أن المؤسسة العسكرية حكمت البلاد عقودًا عددًا فاقت الحكم المدني، وإن هي -أي المؤسسة العسكرية- حكمت بإيعاز أحزاب سياسية، ولكنها فرضت الجيش كسلطة سياسية، مما جعلها تخلق عقلًا سياسيًا يثق في القوى المدنية، وعليه أصبح الجيش السوداني يعتقد أن له الحق في التدخل في الشأن السياسي لحل الأزمات، حتى وإن كانت هذه الحلول العسكرية تؤدي إلى مزيد من الانقسام وعدم الاستقرار.

نخلص هنا إلى أن تشكيل العقل السياسي تم وفق هذة المحددات التاريخية ما أسفر عن ملامح له أصبحت ملازمة لتاريخه. وفي الحلقات القادمة نتحدث عن الملامح، وبعده عن عقل الثورة الذي بدأ ينمو ليفرض عليه عقل الحرب .

إسرائيل لا تنتصر. يجب ألا يستسلم ترامب لمطالب جديدة بالمساعدة

ملخص

تحذّر تريتا بارسي من تورط الولايات المتحدة في الحرب التي بدأتها إسرائيل ضد إيران، والتي لم تحقق أهدافها رغم بداياتها المفاجئة والدامية. فالهجوم الإسرائيلي، الذي اعتُبر أولاً نجاحًا تكتيكيًا، سرعان ما واجه ردًا إيرانيًا قويًا أظهر قدرة طهران على امتصاص الضربة وإعادة تنظيم صفوفها بسرعة.

ومع تعثر إسرائيل في تحقيق نصر حاسم، بدأت تضغط على إدارة ترامب لإشراك أمريكا عسكريًا في الحرب، رغم أنها كانت قد حصلت فقط على «ضوء أخضر» سابقًا.

بارسي ترى أن دخول أمريكا هذه الحرب سيكون خطأً جسيمًا، خاصة أن إسرائيل فشلت في تدمير المنشآت النووية الإيرانية الرئيسية، وتتعرض الآن لضربات صاروخية فعالة. كما أن الحرب زادت من شعبية فكرة امتلاك السلاح النووي داخل إيران، وأضعفت فرص العودة إلى المفاوضات النووية.

تدعو بارسي ترامب إلى رفض الانجرار إلى حرب لم يبدأها، والعودة إلى دبلوماسية واقعية بدلًا من الانصياع لمطالب إسرائيل،ويؤكد أن وقف الحرب الآن هو الفرصة الأخيرة لإنقاذ المسار التفاوضي، مشيرًا إلى أن مطالب إسرائيل وبولتون بالتخصيب الصفري هي ما فجّر الأزمة في الأصل.

تريتا بارسي

في حين تستعد إيران لشن رد فعال على الحرب التي اختارتها إسرائيل، فلماذا يخاطر الرئيس الآن بحياة الأميركيين للانضمام إليها؟

لقد أثبتت حرب إسرائيل الاختيارية مع إيران أنها أقل حسماً بكثير مما اعتقده الرئيس دونالد ترامب في البداية عندما أشاد بأداء إسرائيل ووصفه بأنه « ممتاز «. إن ما يبدو الآن صراعاً متصاعداً وغير حاسم بلا نهاية واضحة في الأفق سيجبر ترامب قريباً على اتخاذ قرار صعب: إنهاء الحرب - أو الدخول فيها.

لا شك أن الضربة الإسرائيلية الافتتاحية كانت نجاحًا تكتيكيًا. إذ فوجئ القادة الإيرانيون بافتراض أن إسرائيل لن تتحرك قبل الجولة السادسة من المحادثات النووية، فلم يتخذوا أي احتياطات. كان كثيرون نائمين في منازلهم شمال طهران، إلى جانب عائلاتهم، عندما قتلتهم الضربات الإسرائيلية في أسرّتهم. كما كانت الدفاعات الجوية الإيرانية غير جاهزة وغير فعّالة.

هدفت إسرائيل إلى القضاء على أكبر عدد ممكن من القادة الإيرانيين لتعطيل هيكل القيادة والسيطرة الإيراني وشلّ ردِّها العسكري. في البداية، كانت الضربات ناجحة للغاية - وإيران مُهيأة للغاية - لدرجة أنه لم يكن واضحًا ما إذا كانت طهران تحتفظ بأي قدرة فعلية على الرد.

انبهر ترامب بنجاح إسرائيل المبكر، فسارع إلى نسب العملية إليه، رغم أن وزير الخارجية ماركو روبيو كان قد أعلن قبل ساعات قليلة أن الضربات كانت «عملاً أحادي الجانب» من جانب إسرائيل، وأن الولايات المتحدة لم تكن متورطة فيها. وكما يُقال: للنجاح آباء كثر، أما الفشل فيبقى يتيمًا.

لكن في غضون 18 ساعة، أعادت إيران هيكلة قيادتها، وفعّلت دفاعاتها الجوية، والأهم من ذلك، أطلقت أربع دفعات صاروخية استهدفت بشكل رئيسي أنظمة الدفاع الجوي الإسرائيلية. اخترقت العديد من الصواريخ دفاعات إسرائيل متعددة الطبقات، وأضاءت سماء تل أبيب عند وصولها إلى أهدافها - بما في ذلك إصابة مباشرة لوزارة الدفاع الإسرائيلية.

إن قدرة طهران على شن مثل هذا الرد بعد ساعات فقط من فقدان العديد من كبار القادة العسكريين كانت أول إشارة واضحة إلى أن النجاح الأولي الذي حققته إسرائيل سيكون قصير الأجل.

رغم استمرار إيران في تلقي ضربات موجعة يوم السبت، بما في ذلك غارات إسرائيلية على مصافي النفط ومطار مهرآباد في طهران ، وبنى تحتية مدنية واقتصادية أخرى، إلا أنها ردت بوابل من الصواريخ. كانت هذه الهجمات أقل عددًا، لكنها كانت أكثر فعالية بشكل ملحوظ. ومع تدهور الدفاعات الجوية الإسرائيلية، من المرجح أن تلجأ طهران إلى صواريخ برؤوس حربية أكبر، مما يزيد من حجم الدمار.

في غضون ذلك، ورغم إلحاقها أضرارًا جسيمة بموقع نطنز النووي، فشلت إسرائيل في اختراق

منشأة فوردو الأكثر أهميةً وتحصينًا. ونتيجةً لذلك، يبدو التأثير الفعلي على البرنامج النووي الإيراني محدودًا. وتشير التقارير إلى أن الجيش الأمريكي وفّر قدراته الدفاعية الصاروخية لإسقاط الطائرات المسيرة والصواريخ الإيرانية، لكنه لم ينضم حتى الآن إلى إسرائيل في الضربات الهجومية.

يتضح لواشنطن بشكل متزايد أن حرب إسرائيل الاختيارية بعيدة كل البعد عن النجاح، وقد لا تتحقق نتيجة حاسمة على الإطلاق. وبينما يُرجح أن تسيطر إسرائيل على التصعيد، إلا أنها تواجه عيبًا جوهريًا: فعدد صواريخها الاعتراضية للدفاع الجوي أقل مما تمتلكه إيران من صواريخ بعيدة المدى. تحتاج إسرائيل إلى نصر سريع وحاسم، لكن حرب استنزاف مطولة قد تصب في مصلحة إيران في نهاية المطاف. ويبدو هذا النصر الآن بعيد المنال.

ليس من المستغرب أن المسؤولين الإسرائيليين وحلفائهم في واشنطن - بمن فيهم جماعات مثل مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات - بدأوا بالضغط على الرئيس ترامب لإشراك الولايات المتحدة في الحرب والانضمام إليها في ضربات هجومية. لا بد أن هذا يُمثل خيبة أمل كبيرة لترامب. فإدراكًا منها لتردده في شن حرب أخرى في الشرق الأوسط، أعادت حكومة نتنياهو ضبط نهجها عندما ضغطت على ترامب في وقت سابق من يناير: فبدلًا من حثّ الولايات المتحدة على توجيه ضربة مباشرة لإيران، سعت للحصول على الضوء الأخضر لإسرائيل للتحرك. ومن خلال حملة ضغط مكثفة، يبدو أن إسرائيل قد حصلت على موافقة ضمنية على الأقل من ترامب على هذه الحملة.

بعد مرور 24 ساعة فقط على حربها الاختيارية مع إيران، عادت إسرائيل إلى واشنطن، تطرق باب ترامب بمطالب جديدة. ما بدأ بـ «أعطونا الضوء الأخضر وستقصف إسرائيل إيران نيابةً عن أمريكا» سرعان ما تحول إلى «أسرعي يا أمريكا، واقصفي إيران نيابةً عن إسرائيل!».

تواجه إسرائيل تحديين رئيسيين في هذا الطلب. أولًا، يُعدّ طلب موافقة أمريكا على خوض الحرب طلبًا أسهل بكثير من طلب التدخل العسكري الأمريكي المباشر. وافق ترامب، على نحو غير متوقع، على الطلب الأول، لكن موافقته على الثاني ستكون تصرفًا غير حكيم على الإطلاق.

ثانيًا، كما ذُكر سابقًا، يُحب ترامب الفائزين - وبطلبه التدخل، تُشير إسرائيل إلى خسارتها. لقد فشلت في القضاء على النظام الإيراني أو شلّ برنامجه النووي، وهي الآن تتلقى ضربات غير متوقعة في المقابل (أطلقت إيران اليوم وابلًا من الصواريخ نهارًا بدلًا من ليلها لتشتيت انتباه الإسرائيليين). لماذا يُخاطر ترامب بأرواح الأمريكيين، ويُعرّض رئاسته للخطر، وينضم إلى حرب لم يبدأها - فقط لإنقاذ إسرائيل من صراع فاشل وغير مُبرر؟ يُفضّل ترامب أن يُنسب لنفسه الفضل في الانتصارات، لا أن يتحمل مسؤولية فشل محتمل لشخص آخر.

في نهاية المطاف، كانت إسرائيل هي التي أقنعت ترامب بتبني موقف التفاوض القائم على عدم التخصيب تمامًا - وهو الموقف نفسه الذي أدى إلى الجمود الدبلوماسي الذي استغلته إسرائيل لاحقًا لتأمين الضوء الأخضر لحملتها العسكرية المتعثرة. لو التزم ترامب بخطه الأحمر الأصلي - عدم التسلح - لكان الآن على وشك إبرام اتفاق نووي تاريخي مع إيران.

لقد استمع ترامب لنتنياهو - كما فعل مع جون بولتون ومايك بومبيو عام 2018 - ومرة أخرى، انحرف مساره نحو اتفاق «أمريكا أولاً» مع إيران. هذه هي النتيجة التي سعى إليها نتنياهو تحديدًا. إذا لم يكن هذا ما يريده ترامب، فعليه تغيير مساره فورًا - كما فعل في اليمن. بدلًا من الانضمام إلى حرب إسرائيل، عليه إجبارها على إنهائها.

بحربها غير المبررة، قوّضت إسرائيل موقف ترامب التفاوضي بطريقتين رئيسيتين. أولًا، تزايد دعم امتلاك سلاح نووي بين النخبة الإيرانية والمجتمع الإيراني عمومًا ردًا على القصف الإسرائيلي. وقد رفع هذا من التكلفة السياسية لموافقة طهران على الحد من التخصيب إلى مستويات مدنية، مما زاد من صعوبة التوصل إلى اتفاق.

ثانيًا، أدى دعم أمريكا للهجوم الإسرائيلي - إلى جانب خطاب ترامب المُهنئ - إلى اعتقاد طهران بأنه تعمد خداعها بشعور زائف بالأمن لتعزيز فرص إسرائيل. ونتيجةً لذلك، تآكلت الثقة الضئيلة المتبقية في ترامب كشريك تفاوضي. وكلما قلّت الثقة، ضاق الطريق إلى اتفاق.

مع ذلك، لا يزال التوصل إلى اتفاق ممكنًا. لكن كلما أسرع ترامب في وقف حرب إسرائيل، زادت فرصه. أمر واحد مؤكد: إذا عاد ترامب وإيران إلى طاولة المفاوضات، فعليه أن يتخلى سريعًا عن مطلب التخصيب الصفري المُحبط الذي دافعت عنه إسرائيل وبولتون - وهو الموقف ذاته الذي أدى إلى نشوء هذه الحرب العبثية وغير الضرورية.

***تريتا بارسي* هي المؤسس المشارك ونائب الرئيس التنفيذي لمعهد كوينسي للحكم المسؤول**

هذا زمان المرابيع القراقيع والرويبضات الأفادغ

حيدر المكاشفي
taherelmuatsim@gmail.com

ملخص

يتناول الكاتب بأسلوب ساخر وناقد ظاهرة انتشار الجهلاء والمتسلقين في واجهة المشهد العام خلال فترة الحرب السودانية، واصفًا إياهم بـ«المرابيع القراقيع والرويبضات الأفادغ»؛ وهم أشخاص جهلة، نكرات، فارغو العقل، يملؤون الفضاء العام والمنصات الإعلامية بضجيجهم وخطابهم الفارغ، مستغلين فوضى الحرب ليظهروا كقادة ومحللين وسياسيين دون أهلية أو معرفة.

يشبّه الكاتب هؤلاء بـ«المرياع» الذي يقود القطيع نحو الهلاك، وبالرويبضة الذي تحدث عنه النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه الرجل التافه الذي يتحدث في شؤون العامة.

ويحذر من خطورة هذا الجهل النشط الذي بات يصوغ السياسات ويؤثر في مستقبل البلاد، خاصة بعد تصدرهم المشهد منذ عهد النظام السابق ومرورًا باعتصام القصر وانقلاب 25 أكتوبر.

ويؤكد أن أخطر أنواع الجهل هو جهل المتعلمين المدعين، الذين لا يدرون أنهم لا يدرون، ويتصرفون باستهتار وفهلوة. وينبه إلى أن مجادلتهم مضيعة للوقت وتُكسبهم غرورًا زائفًا، وأن هذا الجهل المتغطرس أدى إلى انهيار أنظمة، وضياع أوطان، وهلاك شعوب.

إذا كانت الحقيقة والمعلومة الصحيحة الدقيقة من أكبر ضحايا الحروب، حيث يتم في خضم الصراع تشويه الحقائق وتزييفها واستخدامها كأداة دعائية من قبل الأطراف المتحاربة، كما أن المعلومات الموثوقة غالبًا ما تكون صعبة المنال أو غير متاحة للجمهور خلال فترة الحرب، لاستخدام الأطراف المتحاربة الدعاية لتشكيل الرأي العام وتبرير أفعالها، وغالبًا ما تتضمن هذه الدعاية تضليلًا وتشويهًا للحقائق، فإن أكبر المتسببين في هذا التشويه والتضليل ودق عنق الحقيقة، هم بلا منازع (المراييع القراقيع والرويبضات الأفادغ)، ولمن لم يقف على هذه المصطلحات والتسميات من قبل، المراييع جمع مرياع، والمرياع هو قائد قطيع الغنم الذي يعتمد عليه الراعي في توجيه غنمه، والمرياع محبوب من كافة أفراد القطيع، ودائمًا ما يسيرون خلفه، ويتم إخصاؤه كي لا ينشغل عن وظيفته الأساسية وهي (قيادة القطيع)، ويتبع القطيع المرياع أينما ذهب واتجه حتى لو قادهم إلى حتفهم، ومما يُروى عن تبعية القطيع العمياء للمرياع، أن مرياعًا سار بالقطيع في منطقة وعرة حتى وصل إلى حافة وادٍ سحيق. فانزلقت قدماه فسقط أسفل الوادي فما كان من باقي القطيع إلا أن لحقه، بحكم الاقتداء، واحدًا تلو الآخر لكون النعاج والخراف اعتادت أن تنقاد له. وفي اللغة الإنجليزية يسمى هذا المرياع Judas Goat أو يهوذا الماعز، لكونهم يعتقدون أن يهوذا الذي تسبب في

صلب السيد المسيح عليه السلام، وذلك بخيانته له وتسليمه إلى الرومان. ويطلق عليه أيضًا Bell-wether أو الكبش القائد. أما الأفادغ جمع أفدغ ومؤنثه فدغاء، بمعنى فارغ العقل و(ماسورة) بلغة الشباب، وبطبيعة الحال فارغو العقول هم الأكثر ضجيجًا، مثل البراميل الفارغة التي تحدث أصواتًا عالية، أو كما يقول الفرنجة empty barrels makes much noise وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة). قيل وما الرويبضة يا رسول الله قال: الرجل التافه يتكلم في أمور العامة.

الشاهد أننا في زمان الحرب العبثية هذا، ابتلينا بجوقة وكورجة من هؤلاء المراييع القراقيع والرويبضات الأفادغ، ملأوا الأسافير والمنابر والمنصات بالهراء والضجيج والهرطقات والصخب الفارغ، ولكن وللأسف الأسيف ورغم أن ما يهرفون به من غثاء وبؤس وحشف، ورغم أنهم نكرات لا تاريخ لهم؛ وليس لهم تميز في أي ميدان، ولم يعرف لهم تخصص في أي مجال، ولم يعرف لهم إنجاز، أصبحوا ينظّرون ويشيرون ويستشارون، ويقررون في مستقبل البلاد والعباد، وهم محض طبل جوفاء، تجد لديهم حيران ومريدين وتابعين، وماذا يمكن أن يقال عن أمثال هؤلاء سوى أنهم قطيع يتبعون المرياع، فمن بين بني البشر من هم على شاكلة الغنم، لا يحلو لهم السير إلا خلف مرياع ودون أدنى تفكير، المهم أنه عندما يتحدث أو يكتب المرياع يصفقون ويهتفون له، وعندما يسير المرياع يسير القطيع كاملًا وراءه ويتبع خطاه مُعتقدًا أنه يسير خلف الخطى الواثقة لزعيمه البطل والوطني الغيور. إن ظاهرة هؤلاء الجهلاء النشطين ليست جديدة، واسمحوا لي هنا أن أنسب فضل مصطلح (الجهل النشط) حفظًا للحقوق لمن سكوه في جماعة الإخوان الجمهوريين، فقد عهدنا هذه الظاهرة منذ العهد البائد، ولكنها حاليًا، خاصة بعد اعتصام الموز وانقلاب أكتوبر ومن بعده حرب الفلول والكيزان؛ صارت أكثر بروزًا، بعد أن تصدر هؤلاء الجهلاء النشطون واجهة الأحداث ومنصات الأخبار والتحليل ومواقع التواصل الاجتماعي، منهم من أصبح سياسيًا ورجل دولة ومجتمع بوضع اليد وبوضعيته كمشعل وحكّامة للحرب، وأصبح كثير الحديث فيما لا يفقه وكثيف الظهور الإعلامي، وما أكثر من أصبحوا اليوم سياسيين وحكامًا ورجال دولة ومال وأعمال ومحللين إستراتيجيين.. إن الجهل مصيبة على قول أهل السودان، وتتعاظم مصيبة الجاهل عندما يصبح نشطًا، وقد أثبت علم الاجتماع الحديث أن الجهلاء والتافهين يتسمون بالنشاط والجرأة، ومن بين عيوب الحرب العديدة أنها تجبرك على الاستماع إلى رأي وأقوال الحمقى والجهلاء.. يصنف دارسو علم الاجتماع الجهل إلى نوعين، الجهل الأصغر والجهل الأكبر، أما الجهل الأصغر فهو جهل الأُميين، وأما الجهل الأكبر فهو جهل المتعلمين. الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم النحو الشهير فله تصنيفات تقسم الرجال الى أربعة، رجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك العالم فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذلك الجاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك الأحمق فاجتنبوه، وهذا أخطر أنواع الجهلاء، فهو يسترسل بكل ما يمليه عليه لسانه دون إدراك وفهم منطقي حقيقي لما يقول، يتهجم ويهاجم من يخالفه ويختلف معه في رأي فقط لأن رؤيته للأمور تضيق شيئًا فشيئًا، أما الأُمي وغير المتعلم فلا حرج عليهِ في جهله فهو جاهل باعترافه، وهذا دورنا تجاهه هو توفير التعليم له، أما انصاف المتعلمين والمدعين وخاصة إذا ما تسنموا سلطة أو حازوا منصة أو موقع، فأولئك أكبر خطر بسبب ادعائهم رغم ضعف مستوياتهم، ودائمًا ما يتصرفون بقدر لافت من اللامبالاة والاستهتار وبفهلوة لا يجب أن تصدر عن متعلمين، وقد نصح سيدنا علي كرم الله وجهه بعدم مجادلة الجاهل كي لا يغلبك في جهله، ذلك لأنك إن خالطت الجاهل طويلًا فسيجرك إلى القاع لا محالة، ثم سيدفنك بجوفه حتى يهلك عقلك، لأنه كلما جادل المرء الجهلاء والسفهاء أكثر، انتقص من قدره وأصاب عقله الوهن والتشوش، ليخرج من السجال بعد أن ضيع ساعات طويلة من وقته بصداع ومشاعر سلبية وخسارة ما بعدها خسارة. إن مجادلة الجهلاء والسفهاء تمنحهم غرورًا زائفًا يصور لهم أنهم رأس الحكمة وأن غيرهم لا يفقهون شيئًا، وكم من الحضارات انهارت، وكم من الأنظمة سقطت، وكم من الثروات تبخرت، وكم من البشر قتلوا أو شردوا، وكم من الأوطان ضاعت، وكم من الشركات أفلست بسبب مكابرة وعناد وغباء أصحاب قرار قرروا إدمان الجهل والجهالة والتجهيل. إن أعلى درجات الجهل هى ألا يدرك الإنسان أنه جاهل، فأن تجهل أنك جاهل فتلك أم المصائب. وهذه والله واحدة من أكبر مصائبنا مع هذه الحرب اللعينة أم المصائب.

«الدبيبات»... حين تهرب المدن من ساكنيها

ملخص

تعيش مدينة الدبيبات في جنوب كردفان مشهدًا مأساويًا من النزوح، بعد أن تحولت إلى ساحة معارك عنيفة بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، مما أجبر آلاف الأسر على الفرار نحو الأبيض ومدن أخرى، تاركين خلفهم بيوتًا خاوية وأحلامًا مهدورة.

أدى تصاعد القتال إلى انهيار كامل في الخدمات الأساسية مثل الكهرباء والمياه والاتصالات، إضافة لانعدام الغذاء والدواء. المراكز الطبية خرجت عن الخدمة وتحولت إلى أهداف عسكرية، في وقتٍ تتفشى فيه الأوبئة، خاصة بين الأطفال.

يتحدث النازحون عن ظروف معيشية قاسية في الخيام المؤقتة، حيث الجوع والمرض وانعدام الأمان، وسط مخاوف من النزوح مرة أخرى.

في ظل غياب أي حل سياسي أو إنساني، يستمر النزوح من الدبيبات، حيث كل خيمة ليست ملاذًا بل مجرد مهرب من موت مؤجل، فيما يبقى الوطن معلقًا بين ركام المعارك ومخيمات الانتظار.

وقـائــع

- 1800 أسرة نزحت من مدينة الدبيبات بحسب منظمة الهجرة الدولية.
- 2700 أسرة نزحت من الخوي بولاية غرب كردفان.
- أكثر من 15 مليون نازح ولاجئ في السودان بحسب تقديرات أممية.
- أكثر من 20 ألف قتيل وفق آخر الإحصائيات الاممية.
- قد تصل أعداد القتلى إلى 130 ألفًا (تقديرات مستقلة).
- أكثر من 30 مليون شخص بحاجة لمساعدات إنسانية في السودان.

أفق جديد

في ليلٍ بلا قمر، وعلى طريق غمرته خطى الهاربين من الموت، كانت «أمل موسى» تمسك بيد طفلها وتضمي صامتة، خلفها، تركت الدار خاوية، وبقيت الذكريات معلقة على جدران الدخان.

يلوح الأمل في مقدمة القافلة، بقدر ما تلوح خيمة مهترئة أو ظل شجرة مكسورة الجذع.

الدبيبات لم تعد مدينة، بل صدى وجع يردده الفارّون منها، وصورة لحرب جعلت من المدنيين هدفا، ومن القرى محارق، ومن الخبز حلمًا بعيد المنال.

هكذا تبدأ الحكايات حين تصمت البنادق قليلاً، ويتكلم من بقي على قيد الألم.

«أصابنا التعب بسبب المشي الطويل والجوع»، بهذه الكلمات الموجعة افتتحت المواطنة «أمل موسى» روايتها لـ«أفق جديد»، وهي واحدة من آلاف الفارين من مدينة «الدبيبات» التي تحولت إلى ساحة قتال عنيف بين الجيش السوداني وقوات «الدعم السريع»، واضطرت أسرتها للنزوح إلى مدينة الأبيض، عاصمة ولاية شمال كردفان.

تعيش أمل في خيمة متهالكة مع زوجها وأطفالها الخمسة، محاطة بالقلق والتساؤلات: «ماذا بعد هذه الخيمة؟ وإلى أين ننزح مرة أخرى؟». وتضيف بحزن: «حياتنا أصبحت في مهب الريح، نبحث عن

الطعام والعلاج وسط الخراب».

منذ مطلع مايو، شهدت «الدبيبات» و«الحمادي» والمناطق المجاورة تصاعدًا في وتيرة الاشتباكات، ما أدى إلى نزوح جماعي لمئات الأسر. وتسببت الحرب في انهيار كامل للخدمات الأساسية كالكهرباء والمياه والاتصالات، بالإضافة إلى انعدام الغذاء والدواء.

ورغم استعادة قوات الدعم السريع للمدينة بعد معارك عنيفة، فإن ذلك لم يغير من واقع المدنيين، بل زاد من حدّة الخوف والانهيار الإنساني.

وتهدف العمليات العسكرية في كردفان إلى ربط الشمال بالجنوب والتقدم نحو دارفور، ما يزيد من مخاوف السكان المدنيين بشأن اتساع رقعة الحرب.

الصحفي السوداني المقيم في باريس، محمد الأسباط، قال إن أفراد أسرته نجوا بعد رحلة نزوح محفوفة بالمخاطر من الدبيبات إلى الأبيض، بعد انقطاع أخبارهم لشهر كامل.

من جانبه، تحدث المواطن عمر الأمين عن تدهور الأوضاع الأمنية والإنسانية في المنطقة، وانتشار الأوبئة بين النازحين، لا سيما الأطفال، في ظل غياب أي خدمات طبية.

وأضاف في حديثه لأفق جديد: «حياتنا بائسة، وانتشرت جرائم السطو والسرقة والاعتداءات».

أما محمد عبد الوهاب، يشير إلى انقطاع الكهرباء الذي فاقم الأزمة، قائلاً: «عدنا لاستخدام المرحاكة لطحن الذرة، والأعشاب للعلاج».

وأكد في حديثه لـ«أفق جديد» انتشار الملاريا وحمى الضنك، بالإضافة إلى التهابات تنفسية حادة بين الأطفال.

وفي ظل غياب الرعاية الصحية، تحولت المراكز الطبية إلى أهداف عسكرية، وخرجت المستشفيات عن الخدمة بفعل الانتهاكات التي طالتها من قبل القوات المتصارعة.

وفي يونيو الجاري، أعلنت منظمة الهجرة الدولية نزوح أكثر من 1800 أسرة من «الدبيبات»، إضافة إلى 2700 أسرة من «الخوي» بولاية غرب كردفان، بسبب المعارك العنيفة. وتوزعت هذه الأسر على محليات مختلفة، أبرزها «القوز» و«أبو زبد» و«شيكان»، فيما يواجه النازحون أوضاعًا إنسانية صعبة دون أي استجابة كافية.

يحذر مراقبون من تفاقم الأوضاع في المناطق المتأثرة، في ظل استمرار موجات النزوح واستهداف المدنيين والبنية التحتية.

وتؤكد الأمم المتحدة أن السودان يواجه «واحدة من أسوأ أزمات النزوح في العالم»، ويتجه نحو «أسوأ أزمة جوع في العالم»، حيث يحتاج أكثر من 30 مليون شخص إلى مساعدات إنسانية هذا العام.

ومع استمرار الحرب التي اندلعت في أبريل 2023، تُقدر الأمم المتحدة والسلطات المحلية عدد القتلى بأكثر من 20 ألفًا، فيما تشير تقديرات مستقلة إلى أن العدد قد يصل إلى 130 ألفًا. أما النازحون واللاجئون، فقد تجاوز عددهم 15 مليونًا.

في ظل صمت العالم، يواصل أهل «الدبيبات» نزوحهم على دروب حارقة، يحملون أطفالهم على الأكتاف وأحزانهم في قلوبهم، وكل خيمة جديدة تعني هروبًا من موت مؤجل لا أكثر.

أما الوطن، فغاب عن النظر، وعلق بين ركام المعارك ومخيمات الانتظار.

الصمغ العربي السوداني: تأثير الحرب وتحديات القيمة المضافة

عمر سيد أحمد

ملخص

يُعدالصمغ العربي من أهم الموارد الطبيعية في السودان، حيث يحتكر نحو 70-80% من الإنتاج العالمي، ويستخرج من أشجار الهشاب والطلح المنتشرة في مناطق كردفان ودارفور والنيل الأزرق.

تسببت الحرب المستعرة منذ أبريل 2023 في شلل شبه كامل للقطاع، خاصة في مناطق الإنتاج الرئيسة مثل كردفان ودارفور، وأدت العمليات العسكرية إلى نزوح آلاف الأسر، وتعطّل جمع الصمغ بسبب انعدام الأمن، وانتشار النهب، واستغلال الموارد من قِبل الميليشيات.

انعكست الأزمة مباشرة على المنتجين والمجتمعات الريفية، حيث تراجع الدخل وانعدمت فرص التسويق الرسمي، ما دفع كثيرين إلى التهريب أو النزوح أو العمل في ظروف خطرة وغياب الدعم الحكومي، وضعف آليات الحماية والتطوير، عمّقا من هشاشة القطاع وزادا معدلات الفقر.

تمثل أزمة الصمغ العربي اختبارًا لقدرة السودان على تحويل موارده الطبيعية إلى رافعة تنموية، الخروج من دائرة تصدير الخام إلى التصنيع ضرورة وطنية، وليست مجرد خيار اقتصادي. فقط بوقف الحرب، والإصلاح المؤسسي، ودعم المجتمعات الريفية، يمكن استعادة موقع السودان كقوة منتجة عالمية في هذا القطاع الاستراتيجي.

الصمغ العربي:
مورد إستراتيجي واقتصادي في السودان

يمثل الصمغ العربي أحد أبرز الموارد الطبيعية وأكثرها تأثيرًا في الاقتصاد السوداني والتجارة الدولية. يتمتع السودان بموقع ريادي عالمي في إنتاج هذا المنتج النباتي الإستراتيجي، إذ يُعد المنتج الأكبر عالميًا، مسيطرًا على نحو 70 إلى 80% من الإنتاج العالمي. يُستخرج الصمغ العربي أساسًا من نوعين من أشجار السنط هما: الهشاب (Acacia senegal) والطلح (Acacia seyal)، وتنتشر هذه الأشجار بكثافة في إقليم السافانا الفقيرة الذي يشمل ولايات كردفان، دارفور، القضارف، وأجزاء من النيل الأزرق وسنار.

تُشكّل صناعة الصمغ العربي مصدر رزق مباشر أو غير مباشر لأكثر من خمسة ملايين أسرة، ما يجعلها شريان حياة حيويًا للمجتمعات الريفية، خصوصًا في المناطق التي تعاني من الفقر والهشاشة. ويغطي هذا النشاط كافة مراحل سلسلة القيمة، بدءًا من جمع الصمغ وحتى تصديره.

قبل اندلاع الحرب، كان الإنتاج السنوي من الصمغ العربي يتراوح بين 60 إلى 80 ألف طن، يُصدَّر منه أكثر من 90% إلى الأسواق العالمية، مما جعل السودان المصدر الأول لهذا المنتج على مستوى العالم. وتُقدّر القيمة السوقية لهذا الإنتاج الخام بما يتراوح بين 120 إلى 180 مليون دولار سنويًا، لكن القيمة الحقيقية يمكن أن ترتفع بشكل كبير إذا تم تصنيع الصمغ وتحويله إلى منتجات صناعية نهائية.

تشمل هذه المنتجات النهائية المستحلبات الغذائية، المكملات الصحية، مستحضرات التجميل، والصناعات الدوائية، وقد تصل قيمتها في السوق العالمية إلى أكثر من 600 مليون دولار سنويًا، ما يعكس الإمكانيات الاقتصادية الهائلة غير المستغلة لهذا القطاع الحيوي

الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للصمغ العربي

تنبع الأهمية العالمية للصمغ العربي من خصائصه الكيميائية والفيزيائية الفريدة، إذ يُستخدم كمادة رابطة ومثبتة في مجموعة واسعة من الصناعات. يُوظَّف في تصنيع المشروبات

الغازية، والحلويات، والمستحلبات، كما يدخل في تركيبة منتجات الصناعات الدوائية، ومستحضرات التجميل، وصناعات النسيج والطباعة، وغيرها من التطبيقات الصناعية المتقدمة.

ويُستعمل الصمغ العربي في أكثر من 1،000 منتج تجاري يومي حول العالم، ما يضمن له طلبًا مستقرًا ومتزايدًا على المستوى الدولي. أما على المستوى المحلي، فإن هذا القطاع يسهم بشكل ملحوظ في توفير العملات الأجنبية وتعزيز أمن الدخل للمزارعين والمجتمعات الريفية، مما يعزز من دوره كمورد اقتصادي واجتماعي إستراتيجي للدولة.

القطاع قبل الحرب: إمكانات معطلة

قبل اندلاع الحرب، كان الصمغ العربي يمثل ثالث أكبر مورد للعملات الصعبة في السودان بعد الذهب والحبوب الزيتية. وبحسب إحصائيات وزارة التجارة السودانية، كان حجم الصادرات يصل بين 110 و150 مليون دولار سنويًا، ويوفر فرص عمل موسمية ودائمة لصغار المنتجين، ويمثل عامل استقرار اجتماعي للمجتمعات الريفية. حاولت بعض الجهات تطوير القطاع عبر إدخال أصناف محسّنة من الأشجار، وتقديم حوافز لتقليل القطع الجائر للأشجار، وأطلقت مشاريع واعدة في التصنيع المحلي، لكنها ظلت محدودة بسبب ضعف البنى التحتية وغياب رؤية إستراتيجية لتعظيم العائد الاقتصادي من هذا المورد الفريد.

تحديات القيمة المضافة في قطاع الصمغ العربي

رغم الأهمية الاقتصادية الكبيرة للصمغ العربي، يواجه السودان تحديات حقيقية في تحقيق القيمة المضافة من هذا المورد الإستراتيجي. فقبل اندلاع الحرب، كانت القيمة السوقية للإنتاج الخام تتراوح بين 120 إلى 180 مليون دولار سنويًا. لكن عند معالجة الصمغ وتحويله إلى منتجات صناعية نهائية، يمكن أن ترتفع هذه القيمة إلى ما بين 600 و800 مليون دولار سنويًا، ما يكشف عن فجوة ضخمة في العائدات المحتملة.

وتكمن إحدى أبرز العقبات في الرسوم والجبايات الباهظة التي تُفرض داخل السودان، والتي تصل إلى نحو 825 ألف جنيه سوداني للطن الواحد، مقارنة بدول الجوار مثل تشاد والنيجر، حيث لا تتجاوز الرسوم غالبًا دولارًا واحدًا فقط للطن. هذا التفاوت الهائل أدى إلى عزوف المصدرين عن الطرق الرسمية، ودفع العديد منهم إلى التهريب كخيار عملي ووحيد، وهو ما يؤدي إلى فقدان مئات الملايين من الدولارات سنويًا من خزينة الدولة.

على سبيل المثال، فإن تصدير 60 ألف طن من الصمغ الخام بسعر متوسط يبلغ 3،000 دولار للطن يحقق عائدًا قدره 180 مليون دولار. أما في حالة تصنيع هذه الكمية إلى منتجات نهائية تُباع بسعر 10،000 دولار للطن، فإن العائد المحتمل يصل إلى 600 مليون دولار، مما يعني خسارة مباشرة تُقدّر بـ 420 مليون دولار سنويًا بسبب غياب الصناعة التحويلية.

وعلى مستوى الأسعار العالمية، يُباع الطن الواحد من الصمغ الخام بما يتراوح بين 2،500 و3،800 دولار حسب النوع والجودة. أما بعد التصنيع، فتتراوح القيمة بين 8،000 إلى 12،000 دولار للطن، أي ما يعادل أربعة أضعاف قيمة الصمغ الخام. هذا الواقع يضع السودان أمام معضلة اقتصادية حقيقية، حيث يخسر سنويًا ما لا يقل عن 400 إلى 600 مليون دولار نتيجة الاعتماد على التصدير الخام دون تصنيع محلي.

تُستخدم منتجات الصمغ العربي في مجموعة واسعة من القطاعات الصناعية، أبرزها:

المشروبات الغازية، كمادة مثبتة.

الصناعات الدوائية، لتثبيت المواد الفعالة.

مستحضرات التجميل، كمكوّن مرطّب.

الصناعات الغذائية، كمادة مكثفة ومحسنة للقوام.

وتُعد شركات كبرى مثل كوكاكولا، بيبسي، نستله، ويونيليفر من أبرز المستوردين للصمغ العربي، مما يعزز الموقع الإستراتيجي للسودان في سلاسل التوريد العالمية، إذا ما استُغلت هذه الميزة بشكل فعّال.

غير أن هذا الموقع الإستراتيجي مهدد بسبب مجموعة من العوامل السلبية، أبرزها:

انخفاض الثقة الدولية في منظومة الإنتاج والتصدير السودانية.

غياب شهادات الجودة والمواصفات العالمية.

نقص البنية التحتية الصناعية المتكاملة.

الإنكماش الاقتصادي المستمر.

الانتشار الواسع للتهريب.

بالإضافة إلى ذلك، فإن تراجع أسعار الصمغ في السوق المحلي إلى ما دون 15،000 جنيه سوداني للقنطار أفقد المنتجين الحافز للاستمرار، وأسهم في تراجع الكفاءة الإنتاجية، ما يُنذر بتدهور مستمر في هذا القطاع الحيوي إن لم تُتخذ إجراءات جادة

للإصلاح.

تأثير الحرب على قطاع الصمغ العربي في السودان

شهد قطاع الصمغ العربي السوداني أزمة حادة نتيجة الحرب التي اندلعت في أبريل 2023 بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع. وقد توسعت العمليات العسكرية لتشمل ولاية الخرطوم ومناطق واسعة من دارفور وكردفان، وهي مناطق تُعد من أهم مراكز إنتاج الصمغ العربي في البلاد. تسبب القتال وتدهور الأوضاع الأمنية في نزوح مئات الآلاف من الأسر، كما لحقت أضرار جسيمة بمزارع الصمغ والبنية التحتية الحيوية، بما في ذلك الطرق، ومرافق التخزين، ووسائل النقل.

في ظل هذه الظروف، أصبح جمع الصمغ مهمة شديدة الخطورة. فقد انتشرت أعمال العنف، والنهب، والابتزاز من قبل الميليشيات المسلحة، مما دفع العديد من المنتجين إلى التوقف عن العمل أو اللجوء إلى التهريب عبر الحدود، كخيار اضطراري للاستمرار.

ووفقًا لتقارير صادرة عن منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) وبرنامج الأغذية العالمي (WFP)، انخفض حجم الإنتاج خلال موسم 2024/2023 إلى أقل من 40 ألف طن، مقارنة بمتوسط سنوي تراوح بين 80 و100 ألف طن قبل الحرب. كما أن أكثر من 40% من الإنتاج يتم تهريبه إلى دول الجوار مثل تشاد، جنوب السودان، والسنغال، حيث يُعاد تصديره تحت أسماء دول أخرى. هذا الوضع لا يقتصر على خسارة العائدات، بل يشكل أيضًا تهديدًا لسمعة السودان كمصدر عالمي رئيسي للصمغ العربي، ويحرمه من كميات كبيرة من العملات الصعبة.

إلى جانب ذلك، وردت تقارير عن استغلال الصمغ كمورد لتمويل الجماعات المسلحة، من خلال فرض إتاوات على المنتجين المحليين، أو السيطرة على عمليات النقل والتسويق. كما تعطلت سلاسل الإمداد، وتوقفت العديد من الشركات المحلية والأجنبية العاملة في القطاع عن العمل، مما أدى إلى تراجع حاد في عمليات التصدير الرسمية التي وصلت إلى أدنى مستوياتها.

أثر التحديات على المجتمعات الريفية

تنعكس التحديات التي تواجه قطاع الصمغ العربي بشكل مباشر على حياة ملايين السودانيين في المناطق الريفية، حيث يُعد هذا القطاع مصدر دخل رئيسي، إن لم يكن الوحيد، لعدد كبير من الأسر. ومع تراجع الإنتاج وتضاؤل فرص التصدير الرسمي، يعاني المنتجون من ضعف المردود الاقتصادي وقلة الخيارات لتحسين سبل معيشتهم.

في ظل غياب الدعم الحكومي الفاعل، سواء من حيث التمويل أو التدريب أو توفير البنية التحتية، يضطر معظم المنتجين إلى الاعتماد على أساليب تقليدية ومحدودة الإنتاجية في الزراعة وجمع الصمغ، وهو ما يزيد من هشاشة القطاع ويقلل من قدرته على الصمود أمام الأزمات الاقتصادية أو الأمنية.

هذه الظروف لا تؤثر فقط على الأمن الاقتصادي للمجتمعات الريفية، بل تمتد إلى زيادة معدلات الفقر والتهميش، وتدفع بالكثيرين نحو النزوح أو الانخراط في أنشطة غير رسمية مثل التهريب أو العمل في بيئات غير آمنة

الحلول والآفاق المستقبلية

لمعالجة التحديات التي يواجهها قطاع الصمغ العربي، لا بد من تبني حلول شاملة تبدأ بإيقاف الحرب وتنتهي بإعادة بناء سلاسل القيمة. وتشمل الأولويات التالية:

الوقف الفوري للحرب وفرض السلام الشامل:

لا يمكن إنقاذ قطاع الصمغ العربي، ولا أي قطاع اقتصادي آخر، دون وقف فوري وشامل للحرب. فكل ما يتعلق بالإنتاج، التصدير، عودة النازحين، واستعادة الثقة المحلية والدولية، مرهون بإنهاء الصراع وعودة الأمن. استعادة سلطة الدولة وبسط سيادة القانون شرط أساسي لأي محاولة إصلاح أو تنمية.

تعزيز الأمن والاستقرار في مناطق الإنتاج:

إلى جانب وقف الحرب، يجب اتخاذ خطوات فعلية لحماية المجتمعات المحلية، تأمين طرق النقل وخطوط الإمداد، وضمان سلامة عمليات الجمع والتسويق. كما ينبغي دعم عودة النازحين وتهيئة الظروف لفتح الأسواق المحلية والدولية.

إقامة مشروعات صناعات تحويلية:

من الضروري تشجيع القطاعين العام والخاص على الاستثمار في إنشاء مصانع لتكرير وتحويل

الصمغ العربي، مع تقديم حوافز ضريبية وجمركية، وتسهيل الشراكات المحلية والدولية لنقل التكنولوجيا وتوطين المعرفة الفنية، بما يسهم في تعظيم العائدات الوطنية وزيادة القيمة المضافة.

مكافحة التهريب وتعزيز الرقابة:

ينبغي تكثيف الرقابة على الحدود وممرات التهريب، وتقديم دعم مادي وتقني لجمعيات المنتجين لضمان وصول العائدات إليهم عبر القنوات الرسمية. كما يجب إطلاق حملات توعية لتشجيع المنتجين على التسويق القانوني، وتوفير بدائل عملية تغنيهم عن اللجوء إلى التهريب.

تمكين المنتجين ودعم المجتمعات الريفية:

يُعد تمكين المجتمعات المنتجة خطوة محورية في استدامة القطاع، ويشمل ذلك تأسيس جمعيات تعاونية قوية قادرة على التفاوض مع الوسطاء والشركات الكبرى بشفافية، إضافة إلى إدماج المرأة والشباب في كافة مراحل سلسلة القيمة، من الإنتاج إلى التسويق.

خاتمة تحليلية:

لقد كشفت الحرب، بكل ما خلفته من تداعيات كارثية على قطاع الصمغ العربي، عن حجم التحديات البنيوية التي تقيد هذا المورد، وأظهرت هشاشة البنية المؤسسية والفنية والتشريعية التي تديره. كما أبرزت الحاجة العاجلة إلى تجاوز مرحلة تصدير المادة الخام والانتقال إلى تطوير صناعات تحويلية ذات قيمة مضافة، قادرة على خلق فرص عمل، وزيادة العائدات، وتعزيز موقع السودان في الأسواق العالمية.

تُجسّد الأزمة الحالية في السودان اختبارًا حقيقيًا لقدرة الدولة والمجتمع على الحفاظ على الموارد الحيوية وتوظيفها في خدمة التنمية المستدامة. ويُعد الصمغ العربي من بين أهم هذه الموارد، ليس فقط لقيمته الاقتصادية أو لاستخداماته الصناعية المتعددة، بل لكونه موردًا استراتيجيًا يمكن أن يُسهم بفاعلية في إعادة بناء المجتمعات الريفية وتعزيز صمودها في مواجهة الأزمات والتحولات السياسية التي تعصف بالبلاد.

ولا يقلل أحد من أهمية الصمغ العربي كأحد الموارد الطبيعية الاستراتيجية في سودان ما بعد الحرب. لكن تركه يُباع كخام دون معالجة ليس فقط هدرًا اقتصاديًا، بل تقاعسًا عن استثمار مورد وطني قادر على توليد مئات الملايين من الدولارات سنويًا. إن تطوير هذا القطاع ليس خيارًا، بل ضرورة وطنية، اقتصادية وبيئية.

إن استعادة مكانة السودان كمصدر موثوق وفاعل للصمغ العربي تتطلب وقف الحرب بشكل عاجل، وبناء سلام دائم، وإصلاحات اقتصادية عميقة، وتنمية صناعية شاملة، وتحديث أدوات الإنتاج، إلى جانب تأسيس شبكة حماية اجتماعية عادلة. وحده هذا المسار سيحوّل الصمغ العربي من مورد مضيع إلى قوة دافعة لاقتصاد ناهض يعيد السودان إلى موقعه الطبيعي في خارطة التنمية.

لقد كشفت الحرب، بكل ما خلفته من تداعيات كارثية على قطاع الصمغ العربي، عن حجم التحديات البنيوية العميقة التي تُقيد هذا المورد، وأظهرت هشاشة البنية المؤسسية والفنية والتشريعية التي تديره. كما أبرزت الحاجة العاجلة للانتقال من تصدير المادة الخام إلى بناء قاعدة صناعات تحويلية قائمة على القيمة المضافة، تسهم في خلق فرص العمل، ورفع العائدات، وتعزيز قدرة السودان على المنافسة في السوق العالمية.

المراجع Chicago Manual of Style

1. Food and Agriculture Organization of the United Nations (FAO). Reports on Gum Arabic Production and Agricultural Challenges in Sudan. Accessed June 2024. http://www.fao.org.
2. World Food Programme (WFP). Food Security Assessments and Impact of Conflicts on Rural Communities in Sudan. Accessed June 2024. https://www.wfp.org.
3. Ministry of Trade and Industry، Sudan. Annual Export Statistics and Economic Importance of Gum Arabic. Accessed June 2024. Official reports.
4. World Trade Organization (WTO). International Trade Reports on Gum Arabic and Global Market Analysis. Accessed June 2024. https://www.wto.org.
5. United States Agency for International Development (USAID). Research and Reports on Agricultural and Economic Development in Sudan. Accessed June 2024. https://www.usaid.gov.
6. Sudanese Forestry Research Center and University of Khartoum. Local Studies on Gum Arabic Cultivation and Quality. Various research papers and publications.
7. United Nations Reports on Sudan Conflict. Assessments of Economic and Social Impacts of Armed Conflict. Accessed June 2024.

القضـــارف...
الصـــراع من أجـل قطـرة ماء

ملخص

تتحول الحياة إلى معاناة يومية في ولاية القضارف شرق السودان، بسبب أزمة مياه حادة تفاقمت خلال فصل الصيف، ويعاني السكان من انقطاع المياه، وارتفاع أسعارها، وتدهور البنية التحتية، مما اضطرهم لقطع مسافات طويلة لجلب المياه وسط تجاهل حكومي متواصل.

تعاني المدينة من شح شديد، إذ تنتج محطة «الشواك» 13 ألف متر مكعب فقط من المياه يوميًا، رغم أن الحاجة تفوق 45 ألفًا، بينما تسد الآبار 10 آلاف فقط،وتعتمد القضارف على نهر ستيت عبر سد ترابي بدائي لا يواكب الحاجة.

ورغم وعود السلطات بمشروع ضخم يوفر 150 ألف متر مكعب من المياه، إلا أن المشروع تعثر بسبب مشاكل تمويلية وانسحاب الشركات المنفذة، خاصة بعد توقف تمويل البنك الإسلامي في جدة.

تجسد أزمة مياه القضارف صورة لفشل السياسات وغياب الإرادة، حيث أصبح العطش معاناة دائمة وواقعًا مأساويًا يهدد صحة المواطنين وحياتهم، دون أفق لحل قريب.

في قلب الشرق السوداني، وتحديدًا في ولاية القضارف، تتكثف المعاناة على هيئة عطش مزمن تجاوز حدود الاحتمال، لتتحول الحياة إلى صراع يومي من أجل قطرة ماء.

تزداد الأزمة اشتعالًا في فصل الصيف، ويتحول الحصول على مياه نظيفة إلى حلم بعيد المنال، هنا، لا تنقذك صلوات المطر، ولا وعود الحكومة.

يفتك العطش بالمدينة، أصبحت الطوابير الطويلة أمام «كارو» المياه مشهدًا مألوفًا، والنساء والأطفال يسيرون كيلومترات في لهيب الشمس، يحملون أوعية الأمل فوق رؤوسهم، ويعودون بأحمال أثقل من طاقتهم، وأقل من حاجتهم.

عطش يومي.. وتجاهل رسمي

يعيش المواطنون في القضارف أزمة إنسانية مركبة، تتفاقم بفعل انقطاع الكهرباء، وتعطل الآبار، ونقص الوقود، وتآكل شبكة المياه القديمة.

ولا يقتصر الأمر على المشقة فحسب، بل يمتد إلى تهديد صحي حقيقي مع تفشي أمراض الكلى والأوبئة المرتبطة بتلوث المياه.

يقول الصحفي المقيم في الولاية، عمر دمباي، إن «مشكلة المياه تحولت إلى ملف سياسي، تم إلحاقه بقائمة المشاريع المؤجلة والمهملة مثل طريق الإنقاذ الغربي ومشروع الجزيرة».

وأوضح لـ«أفق جديد» أن الأسرة تنفق نحو 300 ألف جنيه شهريًا فقط لشراء المياه، مضيفًا أن سعر برميل الماء تجاوز 14 ألف جنيه، بينما الثروة الحيوانية مهددة بالهلاك.

آهات من الداخل.. والوعود في الانتظار

في حديثها لـ«أفق جديد»، تقول المواطنة آمنة الخليفة: «نقطع مسافات طويلة تحت الشمس لجلب المياه، رغم التعب والمعاناة، الأمر لا يحتمل، لكنه واقعنا».

أما أنس عبد الغني، فيشير إلى تدهور الإمداد من محطة «الشواك»، ويضيف: «هناك قرى كاملة تعيش في ما يشبه المثلث الملعون، مثل القلابات الغربية والنحل والبطانة، حيث لا مياه ولا أمل».

حلول مؤجلة.. ومشاريع متعثرة

تستمد مياه القضارف من نهر «ستيت» الموسمي، عبر محطة «الشواك» التي لا تنتج أكثر من 13 ألف متر مكعب يوميًا، رغم أن الحاجة الفعلية للمدينة تفوق 45 ألف متر مكعب، بينما تسد الآبار نحو 10 آلاف فقط.

والمفارقة أن مياه النهر تحجز بطريقة تقليدية عبر سد ترابي، لا يصمد أمام الحاجة ولا الفصول.

وعود متكررة أطلقها المسؤولون، لكن مشروع الحل الجذري، الذي يفترض أن يوفر 150 ألف متر مكعب من المياه يوميًا من سدي أعالي عطبرة وستيت، لا يزال حبيس التعثر المالي والمشكلات الفنية.

تكلفة المشروع بلغت 67 مليون جنيه تُدفع على أقساط، لكنه اصطدم بسلسلة من العراقيل: تأخر الدفعيات، مشاكل في الشبكة الداخلية، انسحاب الشركات، وأخيرًا توقف تمويل البنك الإسلامي بجدة، مما دفع بالشركة الصينية إلى المغادرة، مخلفة وراءها منشآت مهجورة وأحلامًا معلقة.

نهاية مفتوحة.. وعطش يتجدد

مرت سنوات والقضارف تعيش بين وعود التمويل وأشباح الشركات المنسحبة، وحتى اللحظة، لم يستجب مدير إدارة المياه عمر البدوي لأسئلة «أفق جديد»، تاركًا خلفه تساؤلات معلقة بين السماء والأرض.

في هذا الجزء المنسي من الوطن، يبدو العطش أكثر من مجرد أزمة خدمية، إنه صورة متكررة للخذلان، وتجسيد حيّ لفشل السياسات العامة.

القضارف لا تنتظر مواسير جديدة فحسب، بل تنتظر اعترافًا بحقها في الحياة، وماء يكسر دورة العطش التي لا تنتهي.

ملفات عاجلة أمام رئيس الوزراء

طاهر المعتصم
taherelmuatsim@gmail.com

ملخص

يتناول الكاتب تحديات بداية رئيس الوزراء الجديد، ومع اقترب الشهر الأول من تولي البروفيسور كامل إدريس منصب رئيس الوزراء، وسط ترقب وتقييم داخلي وخارجي لأداء الحكومة رغم عدم اكتمال تشكيلها بعد. التحدي الأكبر هو الموازنة بين حكومة مدنية تضم عناصر من «التكنوقراط» و«حركات جوبا»، مع الاستجابة السريعة لملفات عاجلة لا تنتظر اكتمال الطاقم الوزاري.

ويرى أن الملف الزراعي يأتي في مقدمة الأولويات، حيث تلوح بشائر موسم زراعي جديد يواجه نقص التمويل وتحديات الأمن، خاصة مع اقتراب موسم الأمطار الذي يجلب معه السيول والفيضانات وتفشي الأمراض مثل الملاريا. المطلوب حلول مبتكرة وسريعة لتجنب كارثة غذائية وصحية.

يمثل امتحان الشهادة السودانية رمزًا للمساواة الوطنية، إلا أن الحرب حالت دون مشاركة طلاب بعض المناطق، التحدي الأبرز هذا العام هو ضمان جلوس قرابة 10 آلاف طالب في تشاد و12 ألفًا في مصر للامتحان، خاصة مع تزامن المواعيد مع الامتحانات المحلية، في حين لا تزال مناطق الدعم السريع تعاني من فشل محاولات تنظيم الامتحانات.

يدق الكاتب ناقوس الخطر بأن الانتظار لم يعد ممكنًا، وأن رئيس الوزراء أمام تحديات مصيرية تتطلب قرارات عاجلة تبدأ من الزراعة والتعليم وتنتهي بالإصلاح المؤسسي العميق، إن كانت هناك فعلاً إرادة للعبور بالبلاد من محنتها.

الأسبوع القادم يكتمل الشهر الأول منذ إعلان البروفيسور كامل إدريس رئيسًا للوزراء، الصحافة العالمية وحتى صحفنا المحلية كانت تتبع تقليد المائة يوم الأولى للوزارة الجديدة، تقييمًا لاتساق النتائج الأولية مع الأهداف المعلنة، وبما أن التشكيل الوزاري لم يكتمل حتى الآن، رغم علمي بأن هناك معايير صارمة وضعت لحكومة (التكنوقراط + حركات جوبا)، التي قطعت شوطًا كبيرًا في الوصول إلى بر الانطلاق.

ولأن الزمان لا يتوقف في انتظار إعلان حكومة مدنية مخلوطة بحملة سلاح، وخشية أن تباغتنا الأحداث كما تعودنا في الثلاثين سنة تحت حكم البشير، فهناك ملفات عاجلة تفيد معلوماتي أن رئيس الوزراء شرع فيها، خلال الأيام الماضية، بعضها محلية وبعضها إقليمية.

أول هذه الملفات الموسم الزراعي الذي بدت بشائره، الذي يحتاج أول ما يحتاج إلى المال في ظل فراغ الخزائن، وقبله الأمن، لكن المهم متابعة هذه الجهود حتى لا يتوالى فشل المواسم مما يهدد الأمن الغذائي، وهذا الأمر يتطلب حلولًا مبتكرة وعاجلة، فبالتزامن مع الموسم الزراعي يبدأ موسم الأمطار، الذي يصحبه الثنائي المدمر السيول والفيضانات، يرافقهم إغلاق الطرق في بعض المناطق، وتردي بيئي وارتفاع الإصابة بمرض (الملاريا) لازدياد توالد (أنثى الأنوفليس)، والمطلوب التحسب لهذا الأمر وتوفير الإمكانيات وآليات التنفيذ.

وثاني الأمور الشهادة السودانية، أحد أهم أسس العدالة الاجتماعية في بلادنا قبل الحرب، بحيث يتساوى الطلاب والطالبات في مختلف ربوع السودان شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا في الجلوس للامتحان نفسه في الوقت ذاته، وفي ظل الحرب اللعينة حرمت بعض مناطق الصراع من جلوس أبنائها، لكن التحدي الآخر هو وجود قرابة عشرة آلاف طالب وطالبة في تشاد، وقرابة 12 ألف في مصر، وهؤلاء يتزامن موعد جلوسهم للامتحان في التاسع والعشرين من يونيو الجاري، مع رصفائهم الممتحنين الشهادة الثانوية العامة المصرية، وقد تحدث رئيسا وزراء البلدين، ولابد أن يكون جرى إيجاد حل لهذه المسألة، يتبقى الطلاب في مناطق الدعم السريع وقد فشلت كل الحلول سابقًا.

وفي انتظار الوعد الذي أطلقه رئيس الوزراء، بابتدار ما أطلق عليه (الاستشفاء الوطني)، الذي يحتاج له الوطن أيما حاجة، فقد استخدم الساسة أدوات القانون لتقييد خصومهم، وحتى قرارات رئيس مجلس السيادة الانتقالي، يتم قطع الطريق عليها وإيقافها، مثال ذلك قبل أشهر أربعة وجه رئيس مجلس السيادة الانتقالي وزير الداخلية المكلف بعدم حرمان أي مواطن أو مواطنة من حق استخراج الوثائق الثبوتية، عقب شهر من في 11 مارس 2025، أصدر وزير الداخلية المكلف تعديلًا على اللائحة المنظمة (للقوائم والسيطرة الهجرية) فحواه (يجب أن لا يترتب على إدراج اسم أي شخص منعه من إصدار الجواز)، ومنذ مارس وحتى يوم الناس هذا، هناك أيادي خفية منعت وضع القرار موضع التنفيذ، فالطريق طويل نحو (استشفاء وطني)، لكن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة، فمتى تبدأ أول خطوة.

تحالف «صمود» يطرح رؤية شاملة لوقف الحرب وإعادة بناء السودان

ملخص

طرحت «صمود» رؤية سياسية شاملة لإنهاء الحرب في السودان، تقوم على وقف شامل لإطلاق النار، تأسيس دولة مدنية فيدرالية، عدالة انتقالية، وتفكيك نظام الإنقاذ. تقترح فترتين تأسيسيتين لعشر سنوات، وتدعو لحراك شعبي ودعم دولي لبناء سلام مستدام ودولة ديمقراطية عادلة.

صمود | SOMOUD

أفق جديد

أعلن التحالف المدني الديمقراطي لقوى الثورة «صمود» وثيقته السياسية التأسيسية بعنوان «رؤية سياسية لإنهاء الحروب واستعادة الثورة وتأسيس الدولة»، مقدماً خارطة طريق طموحة لإنهاء الصراع الدامي وإرساء أسس دولة مدنية ديمقراطية في السودان.

تشخيص الجذور ووصمة الحرب:

وصفت الوثيقة الحرب الدائرة منذ أبريل 2023 بأنها «حرب لتصفية ثورة ديسمبر المجيدة» وقطع الطريق أمام التحول الديمقراطي، مشيرة إلى جذورها في سياسات نظام الإنقاذ الذي «حوّل الدولة إلى أداة قمعية» وكرس الإقصاء وعسكرة البلاد وأشعل النزاعات، وخلّف «أكبر وصمتي عار: تقسيم البلاد والإبادة الجماعية في دارفور». وأكدت أن الحركة الإسلامية أشعلت شرارة الحرب الحالية لاستعادة هيمنتها.

مواجهة الكارثة الإنسانية أولوية:

صنّفت الرؤية الحرب بأنها تسببت في «كارثة إنسانية غير مسبوقة» هي «الأكثر فداحة عالمياً»، ودعت لاتخاذ إجراءات عاجلة تشمل:

* تعيين منسق إنساني إقليمي تابع للأمم المتحدة.
* دعم آليات الحماية المجتمعية المحلية.
* وقف استخدام الاتصالات كسلاح حرب.
* توفير الاحتياجات الأساسية للنازحين واللاجئين.
* محاسبة مرتكبي جرائم الحرب عبر توسيع ولاية المحكمة الجنائية الدولية ليشمل كامل السودان.
* تجفيف موارد الحرب بتوسيع حظر الأسلحة ليشمل كل أنحاء البلاد.

أسس الدولة الجديدة:

أكدت الرؤية على مبادئ أساسية لإعادة تأسيس الدولة، أبرزها:

* وحدة السودان وسيادته الكاملة.*
* سلطة مدنية خالصة* خلال الفترة الانتقالية دون مشاركة العسكريين، مع اعتبار الشعب المصدر الوحيد للسلطة.
* دولة مدنية فيدرالية* تفصل بين الدين والدولة، وتقوم على *المواطنة المتساوية* دون تمييز.
* توزيع عادل للسلطة والثروة* بين الأقاليم لمعالجة المظالم التاريخية.
* منظومة أمنية وعسكرية مهنية وقومية* موحدة، بعيدة عن السياسة والاقتصاد، وتخضع للسلطة المدنية.
* عدالة انتقالية شاملة* تضمن المحاسبة وجبر الضرر والمصالحة وتسليم المطلوبين للمحكمة الجنائية الدولية.
* تفكيك تمكين نظام الإنقاذ وانقلاب أكتوبر* ومصادرة ممتلكات المؤتمر الوطني المحلول وواجهاته ومنع نشاطه السياسي.
* محاربة الفساد* واسترداد الأموال المنهوبة وبناء اقتصاد منتج.

مسار السلام: ثلاث مسارات لا بديل عنها:

رفضت الرؤية الحل العسكري وطالبت بإطلاق عملية سلام سودانية القيادة عبر مسارات متزامنة:

* مسار إنساني:* لإنقاذ المدنيين ووصول المساعدات.
* مسار وقف إطلاق النار والترتيبات الأمنية الدائمة.*
* مسار سياسي:* لحوار وطني شامل يخاطب جذور الأزمة ويؤسس لسلام مستدام.

وتهدف العملية لوقف دائم لإطلاق النار، وترتيبات دستورية، وإعادة بناء المؤسسة العسكرية، وتشكيل سلطة مدنية انتقالية كاملة الصلاحيات.

فترة تأسيسية مدتها عشر سنوات:

اقترحت الرؤية:

* فترة انتقالية تأسيسية أولى (5 سنوات):* بقيادة سلطة مدنية انتقالية (مجلس سيادة رمزي، مجلس وزراء، جمعية وطنية تأسيسية بمجلسين) تركز على تثبيت السلام، الإغاثة، إعادة الإعمار، العدالة الانتقالية، وإصلاح مؤسسات الدولة.
* فترة تأسيسية ثانية (5 سنوات):* تقودها حكومة منتخبة تكمل مهام التأسيس وتنهيها بانتخابات عامة.

آليات التنفيذ:

حدد التحالف آليات لتحقيق الرؤية:

* بناء جبهة مدنية عريضة لقوى الثورة والتحول الديمقراطي.
* حوار مباشر مع أطراف الحرب لحثهم على الحل السلمي.
* حشد الدعم الإقليمي والدولي للإغاثة وإيقاف الحرب ودعم إعادة الإعمار.

خاتمة: دعوة للشعب والشركاء:

اختتم التحالف بالدعوة لـ «حراك شعبي واسع ضد الحرب وقواها»، مؤكداً عزمه على «جعل هذه الحرب آخر الحروب في تاريخ السودان» وتأسيس «دولة الحرية والعدالة والمواطنة المتساوية». ومدّ يده للشركاء الإقليميين والدوليين للمساهمة في تحقيق السلام الذي «يسهم في استقرار المنطقة والعالم».

تأتي هذه الرؤية الشاملة في لحظة حرجة، كإطار عمل من القوى المدنية لمواجهة الانهيار وبناء إجماع وطني حول مخرج سياسي يوقف نزيف الدم ويعيد تأسيس الدولة السودانية على أسس جديدة.

زلزال طهران

وائل محجوب

ملخص

حرب مفتوحة بلا قيود

اندلعت الحرب بين إسرائيل وإيران كجزء من استراتيجية إسرائيلية تهدف إلى تدمير القدرات النووية الإيرانية واقتلاع آخر بؤر المقاومة المسلحة في المنطقة، هذا التصعيد يأتي في سياق دعم غربي وأمريكي معلن، وتواطؤ إقليمي، ما يجعل المواجهة امتدادًا لسياسات الإخضاع وإعادة رسم توازنات القوة في الإقليم.

يرى الكاتب أن هذه الحرب الاعنف من نوعها، إذ تجاوزت كل الأعراف الدولية والدبلوماسية، ورسّخت واقعًا جديدًا يجعل من «دولة الكيان» كيانًا فوق القانون، يشنّ الهجمات متى شاء، دون اعتبار لأي مؤسسة دولية، إلا وفق حسابات نفعية محضة تتعلق بالربح والخسارة العسكرية.

يشير إلى أن بداية هذا التصعيد يمكن ربطها مباشرة بعملية «طوفان الأقصى» في 7 أكتوبر 2023، والتي شاركت فيها حركات المقاومة مثل حماس وحزب الله والحوثيين، تحت مظلة سياسية إيرانية،وجاء الرد الإسرائيلي عنيفًا ومدمرًا، بدءًا من غزة، إلى اغتيالات لقادة المقاومة، وصولًا إلى إسقاط النظام السوري، ما شكل عملية تفكيك منظمة لمحور المقاومة، وتحضير الأرضية لضرب إيران نفسها.

يحذر الكاتب من أن استمرار هذه الحرب قد يقود إلى اصطفافات إقليمية مضادة، ويوسّع رقعة النزاع، خاصة في حال استهداف المنشآت النووية من الطرفين، كما قد يؤدي التصعيد إلى تداعيات اقتصادية وسياسية ضخمة، تهدد استقرار المنطقة والعالم، وقد تنتهي إما بانهيار إيران أو بفشل الهجوم الإسرائيلي وعودة موجة جديدة من التطرف والمقاومة.

● انفجرت الحرب بين إسرائيل وإيران، وهي حرب مدمرة تستهدف ليس تدمير قدرات إيران النووية فحسب، إنما تستهدف اقتلاع آخر بؤر المقاومة المسلحة الموجهة للكيان الصهيوني، وهي جزء من استراتيجية الإخضاع التي تتبعها إسرائيل، بعدما صارت تحظى بالدعم العلني من الولايات المتحدة، والدول الغربية، والتواطؤ والتعاون الإقليمي.

● هذه المواجهات التي اندلعت فجر الجمعة، هي الأعنف وهي تتجاوز كل القوانين الدولية والعلاقات السياسية والدبلوماسية، وهي تكريس لهذه الحقبة التي صارت فيها دولة الكيان أعلى من القانون والمؤسسات الدولية، وتستطيع أن تهاجم أي دولة دون أي اعتبارات خلاف حسابات النصر والهزيمة، وتحقيق الأهداف.

● لقد مثلت عملية طوفان الأقصى التي تمت في 7 أكتوبر 2023م، بمشاركة حركة حماس من فلسطين وحزب الله من جنوب لبنان، وقوات الحوثيين من اليمن وبغطاء سياسي إيراني، المدخل الذي قاد لكل التداعيات اللاحقة والحالية، حيث تمت استباحة غزة ودمرت تمامًا، وجرى ضرب وتدمير حركة حماس وتعقب قادتها السياسيين والعسكريين الواحد تلو الآخر واغتيالهم، وتم اغتيال زعيم حزب الله حسن نصر الله وقادة حزبه، كما تم استهداف قوات الحوثيين في اليمن، وكانت آخر الضربات هي إسقاط النظام السوري، الذي مثل المسمار الأخير في نعش هذا الحلف، والخسارة الكبرى لدولة حليفة وعلى خط المواجهة، وكانت هذه بمثابة عملية نزع أظافر لإيران، وتجريدها من حلفها السياسي ومساندتها في المنطقة، تمهيدًا لاستهدافها بشكل مباشر، وتحطيم قدراتها العسكرية.

● لقد كان الغطاء السياسي لهذه الحرب هو تحطيم أي قدرات لامتلاك السلاح النووي بواسطة إيران، وذلك استنادًا لتحذيرات صدرت من المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية رافايل غروسي، في مقابلة مع صحيفة لوموند الفرنسية نشرت بتاريخ 16 أبريل الماضي، قبل زيارة قام بها لطهران، وقال فيها إن إيران ليست بعيدة عن تطوير قنبلة نووية، مؤكدًا على امتلاكها ما يكفي من المواد لإنتاج ليس قنبلة واحدة بل عدة قنابل نووية، مشيرًا إلى أنها لا تمتلك أسلحة نووية حتى الآن.

● وقد تم الترويج لهذا التصريح في إفادات المسؤولين الإسرائيليين، كمسوغ لمهاجمة إيران وتدمير قدراتها، حتى يظل ميزان القوى العسكرية والنووية مرجحًا لكفة إسرائيل في المنطقة.

● بدء الحرب شأن وما ستمضي إليه شأن آخر، وهي ستقود لعواقب وخيمة حال استمرارها، فمن المرجح أن إيران ستجد من الحلفاء من يساندها، كما أن روح التجبر والعدوان هذه ستقود لاصطفاف مضاد يوسع من نطاق الحرب ودائرتها، وهي ستضع المنطقة بكاملها على برميل بارود، مع كافة الاحتمالات الخطيرة المترتبة على استهداف الطرفين للمنشآت النووية، بخلاف تبعاتها القادمة التي ستنعكس على اقتصاديات العالم والمنطقة، والتداعيات السياسية التي ستتمخض عنها التي ستنتهي إما بانهيار إيران وانطلاق إسرائيل بلا ضابط ولا رابط في المنطقة، أو بانهيار هجومها وبدء موجة مضادة من التطرف والتصعيد.

«القـوقــو»...
كسـاءُ الكرامـة في زمن الحرب

ملخص

في خضم الحرب السودانية التي دمّرت حياة الملايين، تتحول أسواق «القوقو» – أسواق الملابس المستعملة – إلى مساحة لصيانة الكرامة وتدبير ضرورات الحياة.

وسط سوق الديم بمدينة شندي، تنقب النساء النازحات، مثل «حياة الفضل»، عن ما يستر أطفالهن ويعيد لهم الشعور بالفرح، في ظل عجزهن عن شراء الملابس الجديدة.

يمثل «القوقو» خيارًا واقعيًا في ظل تدهور الوضع الاقتصادي وانخفاض دخل الفرد، حيث تتيح هذه الأسواق ملابس بأسعار زهيدة، بعضها مستعمل وبعضها جديد لم يُبع في مواسمه. تصل هذه البضائع من دول الخليج ومهربة من مصر وليبيا، ويواجه تجارها تحديات كثيرة، منها مصادرات رسمية واتهامات صحية.

لكن رغم كل شيء، تبقى هذه الأسواق رمزًا لصمود السودانيين، ودليلًا على قدرتهم على التكيّف مع الندرة، والتمسك بالحياة، حتى وإن كانت بثيابٍ قديمة.

وسيلة حسين – أفق جديد

في زوايا الحرب المظلمة، حيث تذبل الأمنيات وتُختصر الأحلام في وجبةٍ يومية أو قطعة قماش تستر الجسد، ما تزال نساءٌ كـ«حياة الفضل» يقفن شامخات، يفتّشن بين أكوام الملابس المستعملة عن ما يُعيد لأطفالهن بهجة الحياة.

ليست رحلة تسوّق، بل محاولة يومية لصيانة الكرامة وسط ركام الخراب، بحثٌ حثيث عن الدفء في بلدٍ أنهكته الحرب وترك مواطنيه يواجهون برد النزوح، وجوع الفقد، وندرة المعونات.

عند «شارع النص» في سوق الديم بمدينة شندي، تمضي «حياة» بين أسرّة محمّلة بملابس «القوقو»، تنقب وسط عشرات النساء، تنصت لنداء الباعة وهم يصرخون بأثمان زهيدة، تفاوض بحذر، تختار بعين أمٍّ تعرف ماذا يليق بأطفالها من مقاسات وألوان، ثم تضم غنيمتها الصغيرة في كيس أسود، وتغادر وقد غلبها التعب، لكن لم ينكسر فيها العزم.

تقول لـ«أفق جديد»: «نزحتُ منذ أكثر من عام ونصف، وما عدنا نملك سوى القليل، ونشتري من القوقو لأن أسعار الملابس الجديدة فوق طاقتنا، هذه السوق سترت أطفالي وعوّضتنا عن ما فقدناه».

وتضيف وهي تبتسم: «المهم أن يفرح العيال ويلعبوا بثياب نظيفة... الحرب كسرت أشياء كثيرة، لكنها لم تكسرنا».

سوق القوقو... وجه آخر للصمود

في ظل تدني مستويات الدخل التي وصلت لأقل من دولارين في اليوم للفرد، أصبح سوق «القوقو» – سوق الملابس المستعملة – ملاذًا لغالبية السودانيين.

بعد الحرب، لم تعد هذه الأسواق مجرد بديل اقتصادي، بل تحولت إلى مشهد يومي يعكس حجم التبدل العنيف في الحياة، ومهارة الناس في التكيّف مع الندرة.

يقول التاجر فتح الرحمن العوض، الذي انتقل إلى شندي بعد نزوحه، إن الحرب ضاعفت الإقبال على القوقو، وإن السوق بات يعرض ملابس لماركات عالمية بأسعار بخسة: «بعض القطع مستعملة، وبعضها من مخازن لم تُبع في مواسمها... نحن لا نبيع فقط ملابس، بل أيضًا أحذية وحقائب واحتياجات أُسر كاملة».

تأتي هذه البضائع غالبًا من دول مثل السعودية والإمارات وقطر عبر ميناء بورتسودان، وبعضها يصل مهربًا من مصر وليبيا. ويقدّر العوض أن سعر «البالة» الواحدة يتراوح بين مليون إلى مليون ونصف جنيه، حسب الجودة والمنشأ.

ورغم ما يوفّره القوقو من خيار واقعي للأسر الفقيرة، إلا أن تجاره يواجهون تضييقًا من السلطات، من مصادرات إلى غرامات، فضلًا عن اتهامات بنقل الأمراض.

لكن العوض يدافع عن مهنة باتت شريانًا حيويًا في حياة الكثيرين: «البضاعة تُغسل وتُكوى، ونتركها تحت الشمس... نحن لا نبيع مرضًا، بل نبيع كرامة بأسعار في متناول الناس».

في زمن الحرب، لم تعد الكرامة تُقاس بكِسوة فاخرة أو منزل آمن، بل بالقدرة على الاستمرار، على الضحك رغم الشقاء، وعلى شراء قميص لطفلٍ يشتهي أن يلعب... ويبدو أن «القوقو» صار أكثر من مجرد سوق، صار ملامح حياة كاملة تعلّم السودانيين كيف يبدعون في التمسك بالحياة، حتى وإن لبست ثيابًا قديمة.

مثلث الرمال... حين يعبر النزاع السوداني حدود الخرائط

ملخص

في قلب صحراء قاحلة عند ملتقى حدود السودان، مصر، وليبيا، يقع «مثلث العوينات»، منطقة مجهولة ومهملة لعقود، لا تظهر إلا حين تشتعل فيها نيران الحرب أو تتحول إلى ممر للهاربين المهاجرين، وأصبحت مؤخرًا بؤرة صراع جديدة في النزاع السوداني، بعد إعلان قوات الدعم السريع السيطرة عليها.

رغم أنها كانت موطنًا للمنقبين عن الذهب والمهاجرين غير الشرعيين، أصبحت الآن مركزًا لتصفية الحسابات الإقليمية، وسط اتهامات متبادلة بين الجيش السوداني والدعم السريع، مع تدخل غير مباشر من أطراف خارجية كقوات حفتر، والدعم السريع اعتبرت السيطرة على المثلث «انتصارًا نوعيًا»، وأعلنت نيتها التقدم نحو مدن الولاية الشمالية.

يتمتع المثلث بموقع إستراتيجي رغم عزلته، ويكتسب أهمية اقتصادية بسبب أنشطة التعدين والتهريب، إضافة إلى كونه معبرًا للهجرة، وقد تعاظم دوره خلال الحرب، إذ أصبح مأوى للمشردين وسوقًا للباحثين عن حياة جديدة، لكن الحرب قلبت الطاولة، ودفعت الآلاف، مثل الشاب عبد الرحمن، إلى ترك كل شيء خلفهم.

ما كان طريقًا للهرب صار نفقًا مظلمًا، الحرب في المثلث لم تفتح بابًا جديدًا للصراع فحسب، بل قطعت آخر خيوط الأمل للآلاف، تحولت المنطقة من معبر إلى فخ قاتل، لا ماء فيه ولا أمان، ولا حتى ظل شجرة.

الزين عثمان

في قلب صحراء لا تعرف الرحمة، حيث ترقص الرمال على أنغام الريح، وتغيب الشمس كأنها تودع العالم إلى الأبد، تنتصب لافتة وحيدة مكتوب عليها «منطقة المثلث الحدودية».

لا شيء هنا سوى الفراغ والهاجس، والوجوه التي عبرت دون أن تترك ظلًا، إنها الأرض التي لا يذكرها أحد إلا حين تصبح مسرحًا للحرب أو ممرًا للهروب، أو مقبرة مفتوحة للذين اختاروا الموت عطشًا على أن يبقوا في وطنهم الذي يحترق.

المثلث، ذاك الموضع المنسي في تقاطع الخرائط بين السودان ومصر وليبيا، صار فجأة في صدارة النشرات وخريطة النزاع.

صحراء كانت مأوى للحالمين بالذهب، وللهاربين من جحيم الوطن إلى سراب الأمان، أصبحت اليوم ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية، وعنوانًا جديدًا لتمدد الحرب السودانية شمالًا، هنا، لا تسمع سوى أصوات الريح.. وأقدام الجنود، وصرخات الذين ضاعت أحلامهم في رمال لا تحفظ الذاكرة.

يقول عبد الرحمن، وهو شاب من الجزيرة، وأحد الهاربين من جحيم المثلث: «كنت أبيع الأمل في دكان صغير، وسط سوق منسيّ في آخر الدنيا... ثم جاءت الحرب، وسرقت كل شيء، حتى صوتي».

الأربعاء، أعلنت قوات الدعم السريع سيطرتها على منطقة «المثلث»، الواقعة في قلب الصحراء كنقطة حدودية بين السودان وليبيا ومصر.

واتهم بيان صادر عن الجيش السوداني، قائد «الجيش الوطني الليبي» خليفة حفتر، بمساندة قوات الدعم السريع في هجومها للسيطرة على المنطقة، قبل أن يعلن الجيش لاحقًا سحب قواته منها لـ«ترتيبات دفاعية».

نشرت قوات الدعم السريع مقاطع فيديو تؤكد سيطرتها على الموقع، وأتبعتها ببيان وصفت فيه ذلك بـ«الانتصار النوعي»، الذي من شأنه أن يفتح الباب أمام مزيد من التمدد في جبهات جديدة. ووفقًا لتصريحات عبد الرحيم دقلو، نائب قائد قوات الدعم السريع، فإن الهدف القادم هو جبل «العوينات» والمناطق والمدن في الولاية الشمالية.

يقع مثلث جبل العوينات عند تقاطع حدود السودان مع مصر وليبيا، في عمق الصحراء الكبرى، ضمن منطقة نائية قاحلة، تضرب العزلة أطنابها فيها، حيث لا سكان ولا إغراء بالبقاء، ما جعلها مهملة من الدول الثلاث لعقود.

غير أن ثرواتها من الذهب والمعادن، وأنشطتها المتزايدة في التهريب وتجارة البشر والسلاح، جعلت منها نقطة جذب متعددة المخاطر.

في هذه الصحراء، وتحت لهيب الشمس والرياح الباردة، تنتصب بعض الخيام والمباني البسيطة، ولافتة مكتوب عليها «منطقة المثلث الحدودية».

هنا تبدأ وتنتهي سلطة الدولة، حيث التمثيل الرمزي للجيش والاستخبارات، مقابل سيطرة ميدانية فعلية للقوات المشتركة من الحركات المسلحة، المتحالفة مع الجيش في حربه ضد الدعم السريع.

«المثلث» الذي لا يظهر على «رادار» معظم السودانيين، ظل لعقود بوابة للهجرة غير الشرعية نحو ليبيا، ومنها إلى أوروبا. كما أصبح مقصد آلاف الباحثين عن الذهب، ومحطة تجارية نشطة، تضج بعشرات المكاتب التي تعمل في الشحن بين السودان وليبيا، أو بين المثلث ومناطق البلاد المختلفة.

وقد ازدادت أهميته مع موجات النزوح الجديدة، إذ تحول إلى سوق كبير، يستوعب طالبي النجاة من الموت

في السودان، والطامحين في حياة أخرى.

المنطقة التي كانت مهملة ومجهولة، صارت بالنسبة للبعض «دجاجة تبيض ذهبًا»، بسبب التنقيب والتهريب.

والمفارقة أن قوات الدعم السريع نفسها كانت تنشط هناك قبل الحرب، ثم ورثت نشاطها القوات المشتركة للحركات المسلحة، التي أصبح لها وجود واضح، وتحرك دائم بين المثلث ومدن الولاية الشمالية.

لكنها ووجهت باتهامات من السكان المحليين باستخدام موارد الإقليم لأجندات فئوية، ما دفع البعض للمطالبة برحيلها.

السيطرة الجديدة لقوات الدعم السريع على المنطقة تطرح من جديد أسئلة جوهرية حول مستقبل النزاع السوداني، خاصة مع تنامي أدوار اللاعبين الخارجيين.

فقد اتهمت الحكومة في بورتسودان خليفة حفتر بدعم الدعم السريع، بينما طالب آخرون الجيش المصري بالتدخل.

والسؤال الأخطر: هل تسعى قوات الدعم السريع إلى تكرار سيناريو السيطرة على مدن الولاية الشمالية؟ لكن وسط هذه الأسئلة، هناك وجوه أخرى للكارثة.

وصول الحرب إلى «المثلث» يعني دفنًا لأحلام كثيرة تحت الرمال، مثل الشاب عبد الرحمن، القادم من أقاصي الجزيرة، الذي استثمر كل ما يملك في متجر صغير داخل سوق المثلث، ثم اضطر إلى تركه خلفه، ناجيًا بروحه.

كان عبد الرحمن بحسب حديثه لـ«أفق جديد» واحدًا من عشرات العاملين الذين طردتهم الحرب من المكان، بعد أن هجرتهم الصحراء أولًا ثم القتال لاحقًا.

ما رآه السودانيون بعد وصول الحرب إلى «المثلث» تجلى في صور وفيديوهات بثتها مواقع ليبية، تظهر كتيبة «سبل السلام» التابعة للجيش الليبي، بالتنسيق مع جهاز مكافحة الهجرة غير الشرعية بالكفرة، وهي تنقذ 85 مهاجرًا سودانيًا تركوا في عمق الصحراء دون طعام أو ماء لثمانية أيام.

وفي مقاطع أخرى، ظهر مهاجرون يشكون من المعاملة السيئة التي تلقوها من القوات الموجودة هناك، بما في ذلك الاستغلال والتحقيقات القاسية.

لكن الأثر الأعمق لوصول الحرب إلى «المثلث» هو قطع طريق النجاة للهاربين من جحيم السودان نحو «الأمان النسبي» في ليبيا.

لم يعد أحد يجرؤ على عبور الـ18 ساعة بين «الخناق» في شمال السودان و«المثلث» على ظهر عربة مكشوفة.

يقول علي، أحد السائقين لـ«أفق جديد»: «لا مثلث بعد اليوم، من ذا الذي يسلم عربته للدعم السريع، ويخاطر بالموت عطشًا في قلب الصحراء؟».

ويضيف: «قبل ذلك، كنا نشتري الأمان بالمال، أما الآن، فلا قانون ولا أمان. ربنا يعيد السلام... ساعتها تفتح الشوارع.»

في المقابل، صرح العقيد أحمد حسين مصطفى، الناطق الرسمي باسم القوات المشتركة، أن الدعم السريع لن يستطيع البقاء طويلًا في المثلث، وأن الهجوم كان محاولة للتغطية على هزائم متتالية. ونفى أن تكون المنطقة نقطة إمداد لقوات متحرك «الصياد» بالوقود، مؤكدًا أن «تحريرها» سيتم قريبًا.

لكن قسوة الطبيعة قد تكون أكبر عدو للبقاء، فمجرد الحصول على المياه في المثلث يحتاج إلى جهد كبير، وعزلة المنطقة تفاقمت بقطع الطريق الرابط بينها وبين مدينة الكفرة الليبية، التي كانت شريانًا لتهريب البشر والوقود والبضائع.

وهكذا، يعيد توقف الحركة تعريف «المثلث» لا كطريق للهروب، بل كنفق مظلم، لا بصيص نور في آخره.

قنبلة السودان الموقوتة

إلى متى يظل العالم عاجزًا أمام أكبر كارثة

عصام عباس

ملخص

يتناول الكاتب توقّيع عدد من رموز المجتمع السوداني على مذكرة ترفض استمرار رمطان لعمامرة مبعوثًا للأمم المتحدة إلى السودان، والمذكرة تمثل صرخة احتجاج ضد التراخي الأممي في التعاطي مع الكارثة السودانية، وتدعو إلى تبنّي نهج جديد أكثر مسؤولية وفعالية تجاه الأزمة المتفاقمة، التي تهدد الأمن والسلم الدوليين.

تُعد حرب السودان الأكثر فتكًا مقارنةً بحربي أوكرانيا وغزة، ورغم ذلك، لم تحظَ إلا باهتمام دولي محدود، واندلعت الحرب في أبريل 2023، ودمّرت العاصمة، وقتلت عشرات الآلاف، ودفعت الملايين للنزوح، بينما يتهدد الجوع الكارثي ملايين آخرين.

تمتد الأزمة السودانية لتصبح قنبلة جيوسياسية تهدد استقرار الإقليم والقاهرة، والسودان متصل بثماني دول هشة وبشريط ساحلي طويل على البحر الأحمر يشكّل بوابة لنقل الفوضى.

تُتهم الأمم المتحدة، عبر مبعوثها العمامرة، بالانحياز واللامبالاة، والتعامل البيروقراطي مع أزمة تمزق شعبًا وتدمر بلدًا، وبدلاً من الحياد، اكتفت المنظمة ببيانات التنديد الخجولة وتقارير فارغة المضمون، ما أفقدها ثقة السودانيين ودورها كوسيط نزيه.

تداولت منصات التواصل الاجتماعي «السبت 14 يونيو» مذكرة قوية مهرها بالتوقيع عدد من رموز المجتمع السوداني، عبّروا فيها عن رفضهم لمبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى السودان، رمطان لعمامرة، مستندين إلى جملة من الأسباب الموضوعية والمقنعة. تأتي هذه المذكرة كدعوة صريحة للأمم المتحدة لإعادة تقييم نهجها في التعامل مع الأزمة السودانية، ليس فقط عبر استبدال المبعوث الحالي، بل من خلال تبني رؤية جديدة وأكثر جدية ومسؤولية نحو حل شامل وعادل. فالأزمة في السودان لم تعد شأنًا داخليًا معزولًا، بل تسير بخطى متسارعة نحو التحول إلى تهديد حقيقي للأمن والسلم الدوليين.

أزمة بلا اهتمام

برغم أن حرب السودان هي الأكثر فتكًا من حربي أوكرانيا وغزة إلا أنها لم تحظ إلا بجزء بسيط من الاهتمام العالمي. اشتعلت الحرب في ثالث أكبر دولة في أفريقيا، وفي الإقليم العربي، في منتصف أبريل من العام 2023، وقد سويت عاصمتها بالأرض، وقتل عشرات الألوف من المدنيين (حتى الآن لم تفصح الأطراف العسكرية عن عدد قتلاها من العسكريين وهي بلا أدنى شك أعداد كبيرة جدًا)، وانتشرت المقابر غير الرسمية وسط الأحياء. تدهور الوضع الإنساني وأجبر أكثر من مليون شخص على الفرار من ديارهم، مؤشرات قياس الجوع أكدت الوصول إلى مستوى الكارثة في بعض المناطق، بينما أخريات في ذات الطريق. أظهرت تحليلات بيانات الأقمار الصناعية والصور الملتقطة بواسطة المعهد الهولندي للعلاقات الدولية، ومن خلال نمذجة الأزمة في العام 2024، بلدًا مغطى بالحرائق وبالفيضانات الناجمة عن السيول والأمطار، وها هو موسم الأمطار على الأبواب والتوقعات تشير إلى وضع أسوأ من العام السابق، مما يعني أن المعاناة تزداد سوءًا.

احترق النخيل في شمال السودان، وتلفت المزارع والمحاصيل في وسطه وغربه وجنوبه، مما اضطر الناس إلى أكل العشب وأوراق الأشجار، وإذا استمرت ندرة الغذاء بهذه الوتيرة، فقد يموت 6 إلى 10 ملايين من الجوع بحلول عام 2027.

البعد الجيوسياسي وما خلف الحدود الوطنية

وكما هي أسوأ أزمة إنسانية في العالم، فهي أيضًا قنبلة جيوسياسية موقوتة. إن حجم السودان وموقعه يجعلانه محفزًا للفوضى ونقلها إلى خارج حدوده. التقارير تتحدث عن رعاية دول لها مصالح للمتحاربين، بينما نأى الغرب وأصبح غير منخرط بصورة مباشرة في حل الصراع، ووقفت الأمم المتحدة مشلولة الإرادة. هذا الوضع المتدهور على مدار الساعة سيؤدي إلى زعزعة استقرار الجيران ورفع معدلات تدفق اللاجئين إلى أوروبا. أما على مستوى التجارة الدولية فإن للسودان أكثر من 800 كيلومتر من السواحل على البحر الأحمر أهم شريان للتجارة العالمية.

هل يعي الاتحاد الأوروبي أن 60% من ساكني مخيم كاليه في فرنسا هم سودانيون، أجبرتهم المآسي في وطنهم على ركوب قوارب الموت لاجتياز البحر الأبيض المتوسط هربًا من الجحيم، وهل يعلمون أن هذا الجحيم قد اشتد وأصبح في أوج عنفوانه الآن مما يؤشر إلى احتمال فتح مزيد من المعسكرات لاستقبال الجيوش الجرارة من اللاجئين الجدد؟ هل تدرك الأمم المتحدة أن للسودان حدود

يسهل اختراقها مع ثمان دول هشة تصل إلى حوالي 6700 كلم، وتمثل هذه الدول حوالى 21% من مساحة اليابسة في أفريقيا، وموطنًا لـ280 مليون شخص في تشاد ومصر وإثيوبيا وليبيا وأفريقيا الوسطى وجنوب السودان وإريتريا؟

خطر الإرهاب والتطرف العنيف

والأخطر من كل ذلك، يمكن أن يصبح السودان ملاذًا للإرهابيين. فهنالك تاريخ طويل مع الجماعات الأصولية المتطرفة التي اختارت السودان إما مسرحًا لعملياتها أو ملعبًا لتحضير الإرهابيين وإعادة تصديرهم للعالم. فقد صرح وزير الداخلية السوداني خلال يوليو 2024 بهروب مئات الإرهابيين الموقوفين بالسجون السودانية، ومعظمهم يتوزع بين تنظيم الدولة، والقاعدة أو الجماعات الإرهابية التي فرت من دول الجوار بعد تضييق الخناق عليها في تلك البلدان. هل قامت مؤسسات الأمم المتحدة المعنية بمكافحة الإرهاب والتطرف العنيف بدراسة تأثير حرب السودان على السلام العالمي، وهل يدركون ماذا يعني حزام الإرهاب في غرب أفريقيا وخطر جماعات مثل بوكو حرام وتنظيم بلاد المغرب العربي، بالإضافة إلى تغذية العنف في الصومال من خلال تهريب مقاتلين عبر شرق السودان لتنظيم الشباب الصومالي المتطرف.

تجاهل أممي رغم المخاطر

على الرغم من المخاطر الكبيرة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، استجاب العالم لحرب السودان بالإهمال والتجاهل واللامبالاة، مما يدل على كيف أصبحت الفوضى طبيعية. الأمم المتحدة وعبر مبعوثها ضعيف الشخصية تعاملت برتابة غير فعّالة وعدم حيادية مكشوفة في أزمة أصلًا نشأت نتيجة صراع متعدد الأطراف ومن الغباء أن الانحياز إلى طرف دون الآخرين. اكتفت الأمم المتحدة بالاستماع إلى تقارير المآسي من كبار موظفيها الذين يمثل لهم استمرار الأزمة مزيدًا من الدخل الشخصي والمخصصات. لم تتجاوز الأمم المتحدة محطة الاستماع الخجول وبيانات التنديد ذات المفردات المنتقاة بعناية حتى لا تثير غضب الطرف الذي يواليه العمامرة، وكأنه يقول لهم هأنذا انصاع لتهديدكم لي يوم تنصيبي مبعوثًا للسودان.

ماذا يمكن فعله؟ ليس هناك عذر للتجاهل من الخطأ الفادح أن يتجاهل العالم السودان، وأن نتخيل أنه لا يمكن فعل أي شيء. يمكن للشارع الحر في البلدان الحرة الضغط على حكوماتها الديمقراطية التي تهتم بحياة البشر لبذل المزيد من الجهد. لدى الكثير من الدول حوافز لوقف النزاع واحتواء القتال. أوروبا حريصة على الحد من تدفقات المهاجرين ويحتاج الإقليم إلى بحر أحمر مستقر.

الأولوية الأولى هي الضغط على الجهات الفاعلة الخارجية التي تؤجج الصراع. فكلما كان للوردات الحرب في السودان أسلحة أقل وأموال أقل كلما كان هناك قتل أقل، ومجاعة أقل. يجب على الأمم المتحدة عبر مجلس الأمن الدولي وأمريكا وأوروبا والقوى المؤثرة الأخرى فرض عقوبات على أي جهة تساعد في إشعال حرب السودان. من الممكن إنقاذ الملايين من الأرواح، والحد من فرص حدوث هزات جيوسياسية كارثية.

كما أنه من الضروري اتباع نهج أممي بناء وفعال لأجل خفض المعاناة الإنسانية. إن الحصول على المزيد من المساعدات يجب ألا يرتهن لقضايا سياسية. الحد من عدد الوفيات الناجمة عن الجوع والمرض يجب أن يكون على رأس الأولويات، وأن تنطلق الشاحنات المحملة بالطعام عبر كل الحدود بأمر مجلس الأمن الدولي من خلال آلية إقليمية تقف على مسافة واحدة من جميع أطراف الأزمة، وتحرص على تدفق التمويل إلى المنظمات غير الحكومية السودانية التي تدير العيادات المجانية وغرف الطوارئ، وإرسال الأموال النقدية إلى المحتاجين مباشرة، عن طريق الأموال عبر الهاتف المحمول أو أي وسيلة مشروعة، حتى يتمكنوا من شراء ما يحتاجون من أسواقهم المحلية.

وأخيرًا إن نجاح أي مساع أممية لحل الأزمة السودانية يظل مرهونًا بمدى حيادية مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة وقدرته على الوقوف على مسافة واحدة من جميع أطراف النزاع. فغياب التوازن في التعاطي مع القوى المتصارعة لا يُفقد الوساطة الأممية مصداقيتها فحسب، بل ينسف أساس الثقة الذي يُبنى عليه أي حل سياسي مستدام. إن الشعب السوداني، الذي أنهكته الحرب وفقد ثقته في المبادرات الخارجية، بحاجة إلى مبعوث يُنصت لهم جميعًا، دون تحيّز أو اصطفاف، ويعكس تطلعاتهم للسلام والعدالة، لا أن يتحوّل إلى طرف ضمن الصراع. إن حيادية المبعوث ليست ترفًا دبلوماسيًا، بل ضرورة استراتيجية لإعادة بناء الثقة، وضمان أن تكون الأمم المتحدة جزءًا من الحل لا جزءًا من المشكلة.

رسائل للأحباب: السفير جمال محمد إبراهيم

عثمان يوسف خليل

ملخص

تعتبر الرسالة الأولى من عثمان يوسف خليل إلى السفير جمال محمد إبراهيم رسالة وجدانية وعميقة تعكس المحبة والتقدير الكبيرين للسفير جمال، تبدأ بتحية مشبعة بالحنين في «الزمان المحوق»، وتفيض بمشاعر الود والإعجاب بمساهماته الأدبية والدبلوماسية.

تحمل الرسالة الثانية رد السفير جمال محمد إبراهيم، ويرد السفير بأسلوب رقيق متأمل، مشيدًا بأهمية الرسائل في زمن التكنولوجيا، معتبرًا أن الكتابة اليدوية تحمل دفئًا لا توفره الحروف المطبوعة، كما أن اللوحة الفنية تفوق دقة الصورة الحديثة بخلودها الإبداعي، مستشهدًا بـ«الموناليزا» كرمز للفن الباقي.

يشير إلى كتابه «مؤانسات»، وهو مجموعة من الرسائل المتبادلة بينه وبين صديقه الراحل عمر جعفر السوري، الذي عاش في الشام وكان نائبًا للأمين العام لاتحاد الصحافيين العرب.

الرسالتان تشكلان حوارًا وجدانيًا وثقافيًا بين صديقين، يحفلان بذكريات وطنية وثقافية، ويعبّران عن تقدير متبادل، وحنين لعصور ذهبية من الدبلوماسية والإبداع السوداني، مع دعوة لإحياء فن المراسلة بوصفه شكلاً من أشكال الأدب والوفاء.

الأخ العزيز جمال،

في اللول تحياتي تغشاك وأنت مليان مودة في هذا الزمان الممحوق، ثم كيفك والشباب الريق حولك.

أما بعد وقبل، فقلت كدي أجرب أكتب ليك، وفي تقديري أن الحروف تكتب نفسها علها تعانق دربك الأخضر، وامكن ما دفعني لذلك هو سعادتنا بك بيننا في اليوم داك ما طول.. وكم كانت فرحتنا التمت بمداخلتك الثرة رغم الزحمة الحولك في هذا الوقت الذي تكالبت علينا فيه الإحن والمحن.. لقد خطر لي وبدون سابق موعد أن أتبادل معك مشروع مراسلة علنا نحظى منك بما قدمته لدنيا الناس من ديبلوماسية وأدب رفيع مع الكثير من تاريخ اجتماعي سوف يكون درساً لأجيال حاضرة وآتية.

لقد جعلت أفئدتنا جميعًا تتاوق لتلكم الذكريات الجميلة التي لا تُمَل ولمتابعة إفاداتك الثرة في منبرنا العامر (نادي 81.. لقد سعدنا ونحن نستمع لذلك الرجل الجميل الذي حدثنا عن الأمم المتحدة، ودورها في مشكلة الكونغو على تلك المنصة التي أصبحت ملاذنا الوحيد الذي نلتقي فيه بمن جمّلوا حياتنا بكريم أعمالهم.. أما الإفادات التي ذكرتها (وأنت مطلع عليها بحكم عملك)، وقد أضافت إلى معلوماتنا الكثير والمثير ومن أهمها تلك المعلومة التي نزلت علينا برداً وسلاماً رغم أنها لم تتحقق لظروف السودان ذلك البلد الحدادي مدّادي الذي كان سيتشرف بالأمانة العامة للأمم المتحدة.

عندما رُشِّح سعادة السفير (عمر عديل) لذلك المنصب الكبير الخطير في وقته خاصة والعالم قد خرج من أكبر كارثة في تاريخه (الحرب العالمية الثانية)، لكن كما ذكرت لم يتم المقصد وتلك كانت الأولى وبلعناها بطعمها المر، وقبل أن نفيق من حنظلها أخذنا الجرعة الأكثر مرارة، وذلك بفشل فوز سعادة السفير (عم) جمال محمد أحمد للفوز بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ويا جمال أنت تعلم أنه تتشرف به الجامعة العربية فهو كفء لذلك، وله من المعرفة بالدبلوماسية وله علم ودراية بالإدارة، كما أن الرجل كان أحد أعضاء مجمع اللغة العربية الفاعلين وتربطه علاقات بأهل الشرق والغرب، ولكن تلك أقدار وحظوظ أهل السودان.

يا أستاذ جمال، لقد قرأنا لك كثيراً من المواضيع ومنها تلك التي تحكي عن ذكرياتك في مصلحة الثقافة، التي كانت في زمانكم شعلة من النشاطات والفعاليات الثقافية تنافسون بها توأم المصلحة وهو المجلس القومي للآداب والفنون، ذلك التنافس الشريف الذي خلق جواً من الإنتاج الفكري والثقافي شهدته حقبة السبعينيات والثمانينيات، وكلا الصرحين لهما في الثقافة همٌّ.. وكان لنا شرف المشاركة في ذلك الحراك الثقافي (خدمة واهتماماً).. رعى الله يا جمال تلك الأيام الخوالي وأعاد للوطن العافية.

أحسب أن هذا يكفي الآن حتى يصلنا ردكم ثم إن كان الحظ أن نلج معكم لدهاليز وزارة الخارجية لنعرف بعض الذي يمكننا معرفته..

ختاماً ليس ليس ختام.. أبق طيب لمحبيك ولمن حولك..

عثمان يوسف خليل
المملكة المتحدة

شكرًا لك أخي عثمان...

في تقديري أن وسائل التواصل المحدثة تعزز أهميته، إذ تبادل الآراء عبر منصات ومنابر التواصل الاجتماعي هو بطبيعته نوع من أدب الرسائل بفارق وحيد هو المباشرة والفورية، وأن غاب عنها إثر الخط البشري بأصابع تعكس حميمية لا توفرها محدثات الكتابة، مثل الكتابة على الكيبورد بالأحرف المطبوعة الخالية من الحس البشري. إن الصورة الفوتوغرافية بآلات التصوير المحدثة لن تعكس القدرة الإبداعية للفعل البشري مهما بلغت دقة أوزان «البيكسل»، لن تقارن بلوحة البورتريه التي يرسمها بأصابعه الفنان التشكيلي. وليس قولي محض ادعاء، بل حقيقة ماثلة تراها مثلًا عندما تتمعن في لوحة الجيوكندا، ذلك الأثر الإبداعي الباقي يتحدى القرون بخلوده، فيما تتوارى منتجات التصوير وتختفي... هذه خطرات.. عنت لي...

واذكرك بكتابي «مؤانسات» وهو بعض رسائل تبادلناها أنا وصديقي الراحل عمر جعفر السوري (أو الساوري وساورا هي إقليم غربي الجزائر) على مدى سنوات طوال.

صديقي عمر أديب وصحافي سوداني هجر السودان منذ أمد بعيد وأقام في الشام لسنوات طوال، حيث شغل منصب نائب الأمين العام لاتحاد الصحافيين العرب في دمشق لسنوات.. أتمنى أن نتواصل في تبادل الرسائل أخي العزيز... وسأسعى لأحيل إليكم نسخة ورقية من «المؤانسات»، ولكن ربما أحيل إليك المقدمة التي كتبتها أنا وصديقي الراحل، الذي صدمني رحيله العام الماضي ولم يكتب له أن يرى رسائلنا مطبوعة في كتاب.

لك التقدير والإعزاز.....

جمال محمد إبراهيم

من ثائر الاستقلال إلى مدبّر الانقسام

أسياس أفورقي... الرجل الذي يلعب بالظلال

ملخص

يستعرض التقرير الدور الغامض والمثير للجدل الذي يلعبه الرئيس الإريتري أسياس أفورقي في المشهد السوداني، إذ تحول من زعيم ناضل لاستقلال بلاده بدعم سوداني إلى فاعل خفي يعيد صياغة التوازنات في السودان بما يخدم مصالحه الضيقة.

تحولت العاصمة الإريترية إلى منصة للقاءات سرية بين أفورقي ووفود سودانية متنوعة – من قادة سياسيين وعسكريين إلى شيوخ قبائل – تحت غطاء المصالحة، لكنها عمليًا تخدم الانقسام الجهوي وتعزز من نفوذ أفورقي في شرق السودان، وتعمل إريتريا على بسط نفوذها في ولايتي كسلا والقضارف عبر أدوات غير تقليدية تشمل التجنيس، الدعم المالي، والتعبئة القبلية، إلى جانب دعمها المزعوم لتكوين ميليشيات محلية على غرار «قوات تحرير الشرق».

عرف عن أفورقي تقلبه في التحالفات؛ من دعم الإسلاميين إلى محاربتهم، ثم العودة للتحالف معهم عند الحاجة،ويرى مراقبون أن ذلك يعكس نهجًا انتهازيًا يهدف إلى تفكيك السودان وإضعاف إثيوبيا في سبيل ضمان أمن بلاده الصغير بين جارين كبيرين.

أفورقي لم يعد مجرد جار شرقي، بل بات لاعبًا إقليميًا يستخدم السودان كورقة مساومة استراتيجية، يتحرك بين ظل الاستخبارات وواجهة الدبلوماسية، دون أن يلتزم علنًا بأي مشروع سلام، بل يغذي الانقسام بما يكفل لإرتريا البقاء في قلب معادلات القرن الإفريقي.

بينما تنزف الجغرافيا السودانية دمًا ونزوحًا ودمارًا، يطلّ أسياس أفورقي من عزلته في أسمرا كمهندسٍ يُعيد رسم موازين القوى في السودان بما يخدم مصالحه الضيقة، متجاوزًا حدود بلاده الصغيرة.

الرجل الذي قاد إرتريا نحو الاستقلال قبل أكثر من ثلاثة عقود، بدعم من الحركة الإسلامية السودانية، عاد ليناصبها العداء، ويستضيف معارضيها، ثم يعود لاحقًا ليتقاطع معها مجددًا، لا حبًا فيها بل لضمان موطئ قدم في المشهد السوداني المتشظي.

أسمرا... موسم حج سياسي سوداني

تحولت العاصمة الإرترية في الأشهر الأخيرة إلى قبلة لوفود سودانية متنوعة: سياسيون من المجلس السيادي، قادة حركات مسلحة، رموز قبلية، وحتى نشطاء مدنيون. ورغم ترويج هذه اللقاءات كمساعٍ للمصالحة، إلا أنها تجري خارج علم الدولة السودانية، وتُستخدم غالبًا لتغذية الانقسام الجهوي، أو دعم تيارات بعينها.

يقول دبلوماسي رفيع من شرق إفريقيا لـ«أفق جديد»: «دور أفورقي في السودان مريب؛ فهو لم يطرح أي مبادرة لإنهاء الصراع، بل يبدو داعمًا لاستمراره رغم انتقاداته العلنية للقيادة السودانية».

ويضيف: «كثير من القادة الأفارقة ينظرون بعين الريبة إلى دور إرتريا في السودان، خاصة أن أفورقي الذي اتهم الحركة الإسلامية بتهديد استقرار المنطقة، عاد لاحقًا ليمنحها الغطاء والدعم، مما يعكس تناقضًا في مواقفه يفضح نواياه الحقيقية».

ووفقًا للمصدر ذاته، فإن أسمرا «لا تلتزم الحياد» كما تدعي، بل تلعب أدوارًا أمنية نشطة على حدودها مع ولايتي كسلا والقضارف.

عودة إلى مسرح القرن الإفريقي

تكشف الزيارات المتكررة من شخصيات سياسية وعسكرية وقبلية إلى أسمرا عن تحوّل نوعي في موقع إرتريا الإقليمي، بعد عزلةٍ طويلة، تعود لتلعب دورًا فاعلًا في توازنات القرن الإفريقي، مستخدمة السودان كورقة ضغط ومجال حيوي.

في أبريل 2025، جرت لقاءات سرّية بين قيادات من شرق السودان ومسؤولين إرتريين ناقشت «إدارة مناطق النفوذ»، ما أثار قلق الخرطوم، ودفع الفريق أول عبد الفتاح البرهان إلى زيارة أسمرا، حيث نقل مخاوفه لأفورقي، الذي نفى بدوره أية نوايا سلبية.

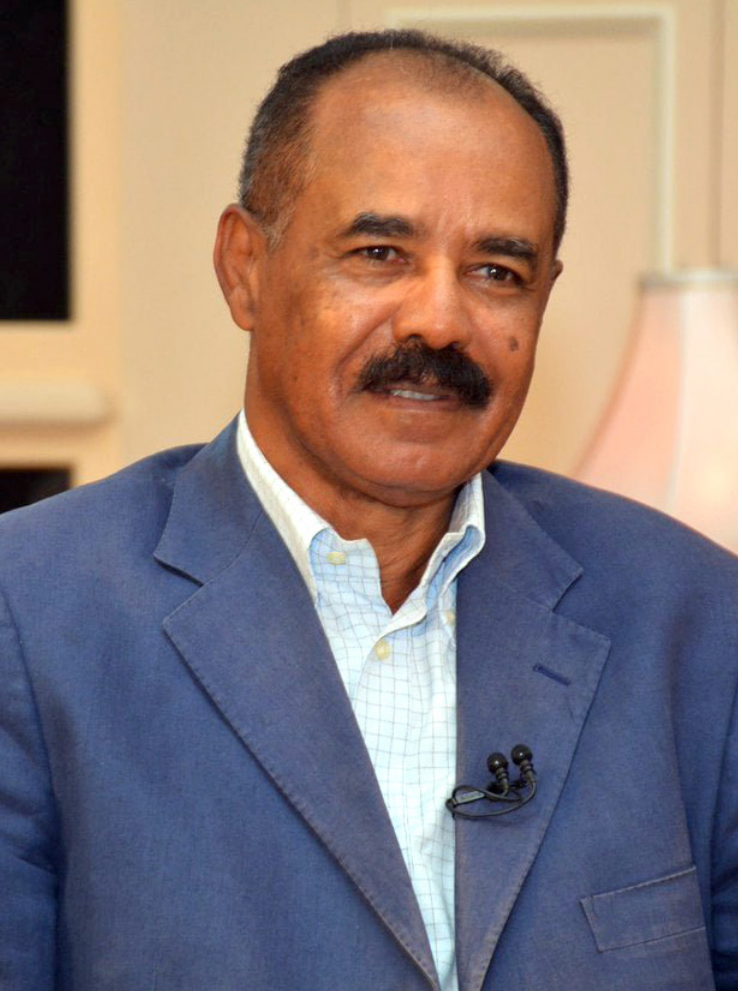

أطماع قديمة بثوب جديد

لم تكن الأطماع الإرترية بامتداد نفوذها في شرق السودان حدثا طارئا، ففي مطلع الألفية، تحدث أفورقي عن «تكامل طبيعي» بين كسلا والمجتمع الإرتري، واعتبر الحدود الاستعمارية غير ملزمة.

واليوم، يعيد تدوير هذه الأطماع بوسائل أكثر تعقيدًا: التجنيس، التمويل، والتعبئة القبلية.

تقارير حقوقية في 2023 وثّقت محاولات أسمرا لتجنيس مئات السودانيين في الشرق، مقابل الولاء السياسي، وسط اتهامات بإشرافها على تدريب جماعات مسلحة سودانية.

معسكرات تدريب وصدى البنادق

يتنقل أفورقي بين شخصية رجل الدولة حين يناسبه، ورجل الاستخبارات حين يستلزم الأمر، وتفيد تقارير استخباراتية بأن أسمرة تدعم جماعات مسلحة في دارفور وشرق السودان، وتوفر لها معسكرات تدريب وممرات لوجستية.

وتشير شهادات إلى وجود خمسة معسكرات تدريب على الأقل داخل إرتريا، يشرف على أحدها إبراهيم دنيا، الناشط المعروف في كسلا.

في مقطع نُشر في يناير 2025، أعلن دنيا تدريب دفعة أولى من «قوات تحرير الشرق»، وأظهر الفيديو

متدربين يغنون بلغة التيغراي. رغم تجنّبه إعلان الولاء لأي طرف، تشير منشورات الحركة لدعم واضح للفريق البرهان.

نقطة تحول: من ثورة إلى شبكة أمنية

يرى مراقبون أن تحركات أفورقي لا تصب في مصلحة السودان، بل تستهدف دعم قوى خارج مؤسسات الدولة، يمكن استخدامها كورقة تفاوض لاحقًا.

يقول شهاب إبراهيم، القيادي في التحالف السوداني، لـ«أفق جديد»: «التحركات الإرترية تأتي ضمن أطماع نفوذ سياسي، مستغلة انهيار مؤسسات الدولة لتشكيل ميليشيات تابعة للسلطات الأمنية في أسمرا».

ويضيف: «إرتريا لم يكن لها دور فاعل في اتفاقيات السلام السابقة، باستثناء اتفاق شرق السودان، لكنها تسعى اليوم لتعويض غيابها ببناء مراكز قوة».

بينما يقول حسام الدين حيدر، الأمين العام السابق لمجلس الصحافة والمطبوعات: إن لإرتريا ارتباطًا تاريخيًا مع شرق السودان والمكونات المسلحة فيه، لكنه يقر بأن التحركات الحالية تختلف عن سياقات الماضي.

أفورقي وكيل إقليمي؟

يرى بعض المحللين أن أفورقي لا يتحرك من فراغ، بل ينفذ أجندات قوى إقليمية، هدفها تقويض الدولة السودانية.

ويقول دبلوماسي أفريقي رفيع لـ«أفق جديد»: «أفورقي ينطلق من قناعة بأن استقلال إرتريا لا يكتمل دون تفكيك إثيوبيا وإضعاف السودان (...)، وموقع بلاده بين دولتين كبيرتين يدفعه للشعور الدائم بالخطر».

ويشير إلى تناقضات أفورقي في تحالفاته؛ فمن التعاون مع الإسلاميين والجبهة الثورية الإثيوبية، إلى محاربتهم لاحقًا، ثم العودة لاستخدامهم مجددًا كورقة ضغط.

لكن حسام حيدر يعارض هذا الرأي، ويؤكد أن موقف أفورقي المعلن في قمة دول الجوار بالقاهرة في سبتمبر 2023 كان واضحًا في رفضه للحركة الإسلامية ومليشياتها.

ويرى أن علاقة أسمرا بالحركات المسلحة تقوم على مصالح أمنية قديمة وليست نوايا تفكيكية.

يقول الدبلوماسي الأفريقي إن النفوذ الإرتري تجاوز السياسة إلى تسليح مباشر للميليشيات. وأشار إلى تصريحات لرئيس الجبهة الشعبية المتحدة، الأمين داؤود، أكد فيها تلقي قواته دعمًا وتسليحًا من إرتريا وتدريبًا في معسكرات «ساوا».

ويحذر الدبلوماسي من أن انتشار هذه الميليشيات في ولايات الشرق يخلق واقعًا أمنيًا خارج السيطرة الرسمية، ويعزز قاعدة «من يملك السلاح يملك التفاوض»، مما يهدد بظهور ولاءات خارج الدولة السودانية.

إعادة ضبط العلاقات

يتفق كل من شهاب، وحسام، والدبلوماسي الأفريقي، على ضرورة ضبط العلاقة مع إرتريا، ويقول شهاب: «مع استعادة السلام، يجب تحرير الإرادة الوطنية، وصياغة علاقات متوازنة مع دول الجوار وعلى رأسها إرتريا».

ويشدد حسام على أن ضبط العلاقة لا بد أن يأخذ في الاعتبار الظروف التي نشأت فيها الحركات المسلحة ومصالحها، لمنع تدخلات مستقبلية مشابهة.

تحالف الضرورة بين أسمرا وبورتسودان:

يرى اللواء متقاعد الوليد عز الدين أنه كلما سنحت الفرصة لإرتريا للتمدد في شرق السودان، لا يتردد أسياس أفورقي في اغتنامها، وهو ما يفسّر متانة علاقته مع حكومة بورتسودان.

وأضاف في حديثه لـ«أفق جديد»: «بالنسبة لهذه الحكومة، تعد إرتريا ورقة توازن وضغط في مواجهة إثيوبيا، التي تحتضن بدورها القوى السياسية السودانية المعارضة.

وأردف،» أما إرتريا، فليست متحمّسة لهذه العلاقة بقدر ما هي مضطرة إليها، إذ دفعت ثمناً باهظاً في تسعينيات القرن الماضي بسبب نشاط جماعة الجهاد الإسلامي الإرترية، التي كانت تنشط على الحدود بدعم من نظام الإنقاذ السوداني آنذاك.

ويستطرد اللواء عز الدين: «وقد فتح هذا النظام الحدود للقوات الإثيوبية خلال الحرب الإثيوبية-الإرترية عام 1998، مما رجّح كفة إثيوبيا، وأدى إلى تشتيت معسكرات المعارضة السودانية التي كانت إرتريا تحتضنها في تلك المرحلة، وبالتالي إن العلاقة الحالية بين النظامين تُبنى على اعتبارات أمنية ومصالح بقاء، رغم التناقضات العميقة في التوجهات والمصالح بين الطرفين».

المتغيرات الدولية وأثرها على السودان في ظل الحرب كحليف مباشر لأحد الأطراف

حاتم أيوب أبو الحسن

ملخص

يشير المقال إلى أن الحرب في السودان، رغم محاولات المجتمع الدولي لإيقافها، ما هي إلا صراع على السلطة، ويبرز السودان في قلب تنافس دولي حاد، خاصة بسبب موقعه الجيوسياسي على ساحل البحر الأحمر، حيث تتمركز السلطة الحالية في بورتسودان والتي ترتبط بتحالفات دولية ضمن محور (إيران–إسرائيل) بشكل غير مباشر.

تُنظر هذه السلطة الآن باعتبارها حليفًا معلنًا لأحد أطراف الحرب، ما يجعلها عرضة للضغوط والتصنيفات السلبية (كالإرهاب)، مما يهدد استقرارها ويجعلها تدفع ثمن هذا التورط، كما أن تهديد إسرائيل المتكرر بشأن القواعد في السودان يعكس تصعيدًا في الخطاب الإقليمي يزيد تعقيد الأزمة.

يؤكد أن ارتباط السلطة القائمة بأحد الحلفاء في الحرب يعرقل أي مسار نحو السلام، ويدفع السودان نحو مزيد من الانقسام. ومع تعيين رئيس وزراء جديد (كامل إدريس) يبدو غير قادر على التأثير تحت وطأة الحظر الأمريكي والظروف الدولية، تظل فرص إنهاء الحرب مرهونة بعودة التوافق بين سلطتين، إحداهما بقيادة عبد الله حمدوك، وهو سيناريو يلوّح به بعض العسكريين، دون القائد الفعلي للحرب.

يخلص الكاتب إلى أنه في حال استمرت الحرب، فإن السودان سيبقى ساحة لتصفية الحسابات بين القوى الدولية، وسيتلقى الأذى سياسيًا وربما عسكريًا، نتيجة تحالف السلطة مع طرف رئيس في النزاع الدولي الأوسع.

رغم تسارع الأحداث الدولية في ظل الحرب في السودان، وسعي المجتمع الدولي الحثيث لوضع حدٍ للصراع والعودة إلى منبر التفاوض، فإن الحرب لم تكن إلا من أجل السلطة والفوز.

تظهر هنا التحالفات الداعمة لأطراف الحرب، إذ لم يكن السودان بعيدًا عن مساحة التنافس الدولي، لا سيما مع أهمية ساحل البحر كموقع جيو استراتيجي لعدد كبير من الأطراف في العالم، ومنهم التحالف الذي تنضوي تحته السلطة الموجودة الآن في ذات الساحل، وهي حليف معلن من خلال توجهات تلك السلطة ومواقفها.

لقد أصبحت هذه السلطة أحد الأطراف غير المباشرين ذوي الأهمية في ترتيب أهداف العملية الجارية والتصعيد بين الحلفاء، والمتمثلين في إيران وإسرائيل، مع بروز السودان كموقع للمنفعة الجيوسياسية.

تتأثر السلطة الحاكمة هناك مباشرة، ويشوبها الخطر، خاصة بعد تحولها من الاتفاقية الإبراهيمية إلى الطرف الذي يُنظر إليه بوصفه وجهًا للإرهاب، وذلك وفقًا للتصنيف الذي يبني عليه التحالف الجديد سياساته لكبح جماح النفوذ واستغلال الساحل بين الأطراف المتحاربة وحلفائهم.

بالإضافة إلى ذلك، هناك مسببات أخرى، من بينها خطورة القواعد وتهديد الخطر كما ترده إسرائيل، الأمر الذي لم يُسعف الوضع في السودان، ولم يسهم في إيقاف الحرب، كما كان يسعى إليه المجتمع الدولي.

الارتباط المباشر بحلف السلطة القائمة لا يجعل من الاستقرار أمرًا قريبًا في السودان، فبعد قيام الحرب والتطورات الجديدة، ستتغير الموازين لصالح القوى المناوئة، التي تلوّح حتى الآن بتأسيس سلطة جديدة.

التطورات العالمية تُلقي بظلالها المباشرة على الأوضاع في السودان، وستتأثر بها أيضًا السلطة القائمة في بورتسودان، التي ستدفع كلفة الحرب ويطالها رأس الرمح، ما دامت عازمة على المضي في الطريق القديم، في ظل المتغيرات واللعب في المعبر الدولي المهم مع القوى العالمية.

كما يتأثر رئيس الوزراء الذي تم تعيينه مؤخرًا بعناية، إذ يتسابق مع التطورات الإقليمية والدولية تجاه السودان، بما فيها الحظر الأمريكي، الذي لم يسمح له بأن يفعل شيئًا.

فإذا تمت السيطرة على الأوضاع وعاد الهدوء الإقليمي، ستعود للسودان فرصة جديدة نحو إيقاف الحرب، عبر سلطتين تتوحدان وفقًا لتأسيس جديد، ويرأسها رئيس الوزراء المنقلب عليه قبل الحرب، عبد الله حمدوك، وذلك كنتيجة لاتفاق سياسي حسب التصور المقترح والرغبة الخفية لأطراف الحرب العسكريين، بمعزل عن القائد الفعلي للحرب في السودان، الذي يبدو أنه يريد شيئًا آخر.

أما إذا لم يتحقق الهدوء قريبًا، فسيتأثر السودان بتجدد الحرب ودعم الأطراف، ما دامت السلطة القائمة لها حليف مباشر في الحرب، حيث سيتم البحث عن دعم لترجيح الكفة السياسية وتكسير النفوذ، وهو ما يتأثر به السودان بصورة مباشرة، إن لم يطله الأذى الجوي كمواقع ووجهة للحليف الأول للحرب الدائرة، وما تحدثه من متغيرات في السودان.

نعود..

عزيز قوم ذَلّ..
القيم الرفيعة فى التعامل مع بنت النعمان بن المنذر بعد فقدهم للملك؟

صبحي عبد النبي*

ملخص

حرقة بنت النعمان، ابنة ملك الحيرة النعمان بن المنذر، كانت رمزًا للفصاحة والجمال والنسب الشريف. عاشت مرفّهة في كنف الملك، يُفرش لها الحرير وتُخدم كالملكات. لكن بعد مقتل والدها على يد كسرى لرفضه تزويجها، فقدت كل شيء، وتحوّلت من بنت ملك إلى مشردة تبحث عن مأوى، فاختارت الرهبنة وبنت ديرًا بين الحيرة والكوفة.

عندما التقاها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعد الفتح الإسلامي، أكرمها وأحسن إليها، رغم كونها غير مسلمة،وقد أثنت عليه قائلة: «صان لي ذمتي وأكرم وجهي»، تعبيرًا عن النبل والكرم في التعامل، كما أتى خالد بن الوليد رضي الله عنه فعرض عليها الإسلام، لكنها اعتذرت لكِبر سنها، فاحترم موقفها ولم يُكرهها، بل ودّعها بإحسان.

كبرياء رغم الانكسار

رغم ما حلّ بها، لم تفقد حرقة كرامتها وكبرياءها، رفضت خطبة المغيرة بن شعبة لأنها رأت أنه يسعى للمباهاة بلقب «زوج بنت النعمان»، لا لجوهرها، كما رفضت التذلل لأي مسؤول أو أمير، فكانت قوية حتى في انكسارها.

يخلص المقال إلى أن التعامل الإنساني في الإسلام: أظهر الصحابة قمة التسامح واحترام الآخر، حتى في لحظة القوة، مجسدين قاعدة «ارحموا عزيز قوم ذل»، وأن التحول من الملك إلى الفقر يوضح زوال الدنيا وتقلبها، ويعلّم التواضع، والمكانة تُصان حتى بعد الزوال، فحرقة وجدت من يكرمها رغم فقدانها للسلطة، احترامًا لنسبها وفضلها.

ما تصفحت كتابًا في الأدب العربي أو الأجنبي، إلا وتجد سيرة ملوك المناذرة والغساسنة ساطعة، تزين أطراف الكتاب، كما زينوا الأرض بالمجد والملك والعمران، والحكم من قبل.

من المعروف أن ملوك المناذرة هم من أعظم ملوك العرب، سكنوا وحكموا من العراق القبائل العربية، وذلك تبعًا لسلطة الفرس، ومع ذلك هيبتهم كانت لا تقل عن الملوك المستقلين.

نحن في هذا المقال سنتجول مع من؟ هل مع الملك النعمان بن المنذر؟ لا

لا تذهب بعيدًا، اليوم نحن في ضيافة بنت من بنات الملوك. ستتحدث لنا عن أسرار حياة الملوك، وستبين لنا خارطة واضحة لأسلوب الحياة بفصاحتها وبلاغتها، إذ أنها كانت أيضًا شاعرة فصيحة.

إنها بنت النعمان بن المنذر (حرقة)

لم تكن حرقة بنت النُّعمان امرأةً عادية، فهي ابنة مَلِك، ومعروفة بالجمال، والفصاحة، والبلاغة، وقوة الشخصية، وتتمتَّع بشُهرة واسعة. لقد كانت حرقة بنت النعمان إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج. فلمّا هلك النعمان نكبها الزمان.. ولكن أين ذهبت بعد زوال ملك أبيها؟

السائق يوقف سيارته؛ لكي لا تدخل في الحادث، والجالس يقف، لئلا تتخدر رجلك، والراقد يجلس سلامة لنظرك، ولا تنس كباية القهوة، لأنك ستقرأ سيرة في غاية الروعة وبأسلوب سلس وشيق.

طلب ملك كسرى من النعمان بن المنذر ملك الحيرة أن يرسل له ابنته للزواج، فرفض النعمان لأنه كان له غيرة في بنات العرب كافة، دعك من بنته.

ما الذي حدث؟ طلب ملك كسرى النعمان بن المنذر في المدائن (مكان قصر الفرس) بأن يمثل بين يديه، فلما وصله قتله بسبب رفضه تزويج بنته.

فعلمت قبائل العرب بموت ملكهم وسيدهم ففزعوا من هذا الأمر، وأيضًا عرفت بنته (حرقة بنت النعمان بمقتل أبيها، وعرفت أنها بعد أن كانت بنت الملوك أصبحت اليوم مطرودة همها أرض تأويها).

وبعد ملك عريض ومجد تليد، أصبحت منيتها العيش بقية حياتها في أي أرض تتنفس فيها.

قررت هند بنت النعمان أن تلبس المُسوح، وهو زيٌّ ترتديه الراهبات المسيحيَّات، وتبني ديرًا صغيرًا لها بين الحيرة والكوفة، وعاشت فيه حتى جاء الفتح الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد.

من أقوالها:

ولما سألها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، كيف حالك فقالت: «إن الدنيا دارُ زوال، لا تدوم على حال، كنا مُلوك هذا المِصر، يجيءُ إلينا خَراجُه، ويُطيعنا أهلُه مدّةً، فلما أدبر الأمر، صار بنا صائحُ الدهر، وإنا نجد في الكتب أنه ليس من قومٍ كانوا في حَبْرة إلا والدهرُ يُعقبهم بعَبْرة». ثم قالت:

«بينا نسوس الناس والأمر أمرنا... إذا نحن فيهم سوقة تتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها... تقلب أحيانًا بنا وتصرف».

أكرمها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ووَصلها، وأحسن جائزتَها، فقالت: «ملكتك يدٌ افتقرت بعد غِنى، ولا ملكَتْك يدٌ استغنت بعد فقر، ولا جعل لك اللَّه إلى لئيم حاجة، ولا أزال عن كريم نعمةً إلا وجعلك السببَ في عودها إليه، وردها عليه»، فلمّا خرجت من عنده قُلْنَ لها نساءُ المِصر: «ما الذي رأيتِ من الأمير»؟ فقالت:

«حاط لي ذِمَّتي وأكرم وَجهي... إنما يُكرم الكريمَ الكريمُ».

ولما عرض عليها سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه الإسلام، اعتذرت عن تغيير دينِها بسبب كِبَر سنّها، فتسامح معها لأنها كانت مرأة مكسورة مأسوفة بعد زوال ملك أبيها، وكما قِيل: «ارحموا عزيزَ قَوم ذَلّ». وقد أحسنَ إليها خالد بن الوليد رضي لله عنه، وهو القائد صاحب السُّلطة والنُّفوذ، ولم يتطاول عليها أو يستغل ضعفها وانكسارها. كما أنه لم يُجبرها على اعتناق الإسلام. وقد تركها وشأنها. فلما غادَرَها أقبل النصارى عليها لسؤالها عما فعل بها القائد المسلم، فأخبرتهم بقولها مثلما قالت في سعد رضي الله عنه:

«صان لي ذمتي وأكرم وجهي، إنما يُكرِم الكريمَ الكريمُ»

زعموا أن خادمة زياد ابن أبيه قالت لها: «كلمي الأمير زياد»، فقالت: «أأوجز أم أطيل»؟ قال: «بل أوجزي» ، قالت: اكنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعز منا، وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدونا».

وجاءها المغيرة بن شعبة خاطبًا لها فقالت: «أَمَا واللهِ لو كُنتَ جِئتَ تبغي جَمَالًا أو دِينًا أو حَسَبًا لزوَّجناك، ولكنك أردتَ أن تجلس في مَوسم من مواسم العرب، فتقول: تزوَّجتُ بنت النُّعمان بن المُنذِر».

الدروس المستفادة

1- كيفية تعامل الصحابة رضوان الله عليهم مع غير المسلمين، ولو كان الإسلام انتشر بحد السيف فقط لقتلها خالد بن الوليد رضي الله عنه مجرد رفضها للإسلام، خاصة خالد بن الوليد رضي الله عنه في حرب، كما يلاحظ كيفية تعامل الإسلام مع المرأة، وأيضًا التعامل معها في غاية الروعة بحكمها بنت الملوك حيث قال صلى الله عليه وسلم (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ).

2 – إن نعيم الدنيا لا يدوم لأحد كما قالت هي:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا... إذا نحن فيهم سوقة تتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها... تقلب أحيانًا بنا وتصرف.

***صبحي عبد النبي، باحث سوداني، وأستاذ اللغة العربية في المدارس الثانوية بالإمارات العربية المتحدة**

.subhiabdelnabi@gmail.com

الدكتور الموسيقي كمال يوسف لـ«أفق جديد»

الموسيقيون السودانيون ينسجون جسوراً مع مجتمعات اللجوء..

القاهرة : محمد إسماعيل

في ظل الحرب التي عصفت بالسودان منذ 15 أبريل 2023، وجد المبدعون السودانيون، لا سيما الموسيقيين، أنفسهم في قلب المعاناة مثلهم مثل بقية أبناء وطنهم. وبين شتات قاس، وفقدٍ للآلات والمساحات، يحاول الموسيقي السوداني لملمة ذاته ومواصلة الحياة والإبداع. في هذا الحوار، نسلّط الضوء على واقع المبدعين السودانيين في المهاجر، والتحديات النفسية والاجتماعية التي يواجهونها، والدور المتجدد الذي تلعبه الموسيقى في التخفيف، والصمود، وبناء الجسور بين الثقافات، والحفاظ على هوية باتت مهددة بالضياع. وفي هذا السياق التقينا بالدكتور كمال يوسف. الموسيقي الغنيّ عن التعريف، فهو أكاديمي وباحث موسيقي من الطراز الرفيع ومساهماته الأكاديمية والإبداعية متواترة في كثير من المنابر والفعاليات، بالإضافة إلى أنه مؤسس وقائد أوركسترا التِبر التى تسعى إلى المزج بين التراث والحداثة في أعماله، وتحرص على إظهار جماليات الموسيقى السودانية وخصائصها المميزة.
إلى مضابط الحوار:

الموسيقى السودانية ستبقى حية ما دام هناك من يغني بها

●كيف تقيّم حال المبدعين السودانيين في المهجر بعد اندلاع الحرب؟

المبدعون السودانيون والموسيقيون منهم، مثلهم مثل بقية أبناء الشعب السوداني الذين وجدوا أنفسهم بلا حول لهم ولا قوة في هذا الشتات، سواءً أكانوا نازحين في مدن السودان المختلفة، أو كانوا ممن لجأوا إلى دول الجوار وغيرها، وكلهم عانوا فقدهم لوظائفهم ودخلهم المنتظم، ومنهم من فقد آلته الموسيقية، أو فقد أجهزة أخرى، ومنهم من فقد استوديوهات وتسجيلات وأشياء لا يمكن تعويضها. وهم في مهاجرهم يحاولون مواصلة الحياة والتأقلم مع الواقع الجديد.

●ما أبرز التحديات النفسية والاجتماعية التي تواجه الموسيقيين السودانيين في الشتات؟

التحديات النفسية والاجتماعية كثيرة، بدءاً بإمكانية ممارستهم لمهنتهم كموسيقيين عازفين أو مغنيين، وما يمكن أن يقف في طريقهم من عقبات تتصل بقوانين الدول المختلفة، وعلى المستوى الاجتماعي لا شك يواجهون الظروف ذاتها المتمثلة في إعالة الأسرة والسكن والمدارس، وغير ذلك.

●هل يمكن للموسيقى أن تكون وسيلة للتعافي النفسي للمبدعين والجمهور في دول اللجوء؟

يمكن أن تكون الموسيقى وسيلة للتعافي النفسي للمبدع إن وجد الفرصة لمزاولتها، نحن لدينا تجربتنا في القاهرة على مدى أكثر من عام، حيث جمعّنا أنفسنا وأعدنا تكوين أوركسترا التِبر وهي الآن تضم أكثر من ثلاثين موسيقياً وموسيقية، وتعاونّا مع عدد من المطربين في حفلات موسيقية وغنائية منذ مايو 2024، ولم يقتصر التأثير الإيجابي والتعافي النفسي فقط للموسيقيين، بل لاحظنا ذلك على الحضور الكبير من الجمهور الذي تفاعل مع ما قدمناه من أعمال موسيقية وأغنيات وطنية إلى حد البكاء.

●كيف تساهم الموسيقى في خلق مساحة للتعبير عن الألم الجماعي والحنين للو طن ؟

عبرت الموسيقى عن ما يعتصر السودانيين من ألم وحنينهم للوطن من خلال انفعالهم مع الأغنيات الوطنية مثل يا وطني يا بلد أحبابي التي لم تغن في حفل إلا ورددها السودانيون وهم يذرفون الدموع وغيرها من أغنيات.

●كيف يمكن للفنان السوداني في الشتات أن يسهم في تعزيز الحوار بين الثقافات المختلفة؟

يمكن للفنان السوداني في الشتات أن يخلق

حواراً مع المجتمعات المضيفة من خلال التواصل عبر الورش المشتركة، أو المعارض الفنية المشتركة وهناك تجارب في هذا الإطار، وفي الموسيقى هناك تواصل بين الموسيقيين السودانيين وبخاصة مجموعات الشباب العديدة مع أقرانهم من المصريين في القاهرة مثلاً، ونحن في أوركسترا التِبر تعمل معنا بشكل منتظم عازفة الشيلّو كاترينا أندراوس، والباب مفتوح أمام غيرها من الموسيقيين، ولدينا مشروع لمزيد من التعاون مع موسيقيين من مصر؟

من الملاحظ تأثير الموسيقى والغناء السوداني في مصر حيث شاهدنا أكثر من مرة أداء أغنيات سودانية من مجموعات مصرية كان آخرها أداء السلام الجمهوري السوداني من مجموعة من الشباب المصري.

●كيف أثرت ظروف الحرب والتهجير على استمرارية إنتاج الأعمال الموسيقية؟

في القاهرة انتج العديد من الشباب برامج موسيقية وأغنيات في برامج مثل برنامج (معاك المايك) على منصة تلفزيون التي استضافت العديد من هذه المجموعات وهناك برامج أخرى.

إنتاج الأعمال الموسيقية؟

●ما هي الوسائل التي لجأ إليها الموسيقيون السودانيون لمواصلة أعمالهم (استوديوهات بديلة، تعاونات عن بُعد، إلخ

واصل الموسيقيون السودانيون اعمالهم من خلال كل ما هو متاح مثل إحياء حفلات المناسبات الاجتماعية . وتكوين الفرق الموسيقية، كما واصل البعض في مجالات أخرى مثل الأستاذ علي الزين الذي أعاد افتتاح مركزه لتدريس الموسيقى، وهناك العديد ممن يعملون في تدريس الموسيقى في المدارس السودانية.

●ما الدور الذي تلعبه الموسيقى في الحفاظ على الهوية الثقافية السودانية وسط الشتات؟

الموسيقى واحدة من المظاهر الثقافية لأي جماعة إنسانية، والموسيقى السودانية مظهر مهم من مظاهر الثقافة، وممارستها والتفاعل معها من قبل الجمهور السوداني وتعريف المجتمعات المضيفة بها يعد من أشكال الحفاظ على الهوية السودانية وإحيائها في ظروف الشتات الحالية.

●كيف ترى مستقبل الموسيقى السودانية في ظل هذا الشتات الاضطراري؟

الموسيقى كتراث لا مادي ستظل حية رغم ظروف الحرب والشتات، فهي ليست كالتراث المادي الذي يمكن أن يتم تدميره أو الابتعاد عنه، لذا ستظل الموسيقى السودانية حية ومتجددة وهذا ما يؤكده واقع الحال في ممارسات الشباب وتناولهم للتراث الغنائي السوداني وانتاجهم لأعمالهم الجديدة.

«عين على الصين» أو فـــن إبـــداع الحيـــاة

السر السيد

ملخص

يتناول الكاتب التجربة الصينية بعد الثورة باعتبارها نموذجًا للإبداع الإنساني الشامل، لا يمكن فهمه إلا من زاوية تتجاوز الواقع اليومي العادي. فهي عملية إعادة بناء الحياة وفق رؤية تتكئ على الخيال والطموح والحب، كما في الفن أو الشعر. ويرى أن ماو تسي تونغ لم يكن مجرد زعيم سياسي، بل شاعر كتب مع رفاقه «قصيدة الوطن»، فخلقوا الصين التي نراها اليوم، المتصالحة مع ذاتها ومع جمالها.

يستعرض كتاب «عين على الصين» للصحفي محمد عبد العزيز، الصادر في 2018، والذي يضم 43 مقالة ويقع ضمن أدب الرحلات. يبرز الكتاب الصين كما رآها المؤلف بعين المراقب والمحب، ويجمع بين السرد الأدبي والدقة المعلوماتية، مما يمنحه قيمة وثائقية وثقافية.

يرى أن الكتاب يقدم الصين الحديثة بوصفها «فن إبداع الحياة»، حيث تمتزج الحقائق بالروح الإنسانية، ويظهر تأثير الحزب الشيوعي في بناء مجتمع يقوم على التنمية، والعدالة، والتحولات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى. كما يتتبع الكتاب أدوار الصين العالمية، خصوصًا في إفريقيا، ويبرز ما يسميه «الشاعرية الكامنة» في التجربة الصينية، التي جمعت بين الخصوصية الوطنية والانفتاح على منجزات العصر.

يخلص إلى أن «عين على الصين» ليس مجرد كتاب عن رحلة، بل هو نافذة تطل على حلم ممكن، يمد القارئ بالمعرفة والمتعة، ويحث على التأمل في إمكانية إعادة بناء الحياة بعين تحب وتتخيل وتعمل، وهو كتاب يثري تجربة كل من زار الصين أو حلم بها، ويعيد للخيال دوره في صياغة الواقع.

«في قريةِ الصين المُتحَرِّرة،
أبصرتُ كل شيء،
ولم يَقصُّوا عليَّ شيئاً.
وكان الأطفالُ من حولي،
لا يُفسحون لي المجال كي أسير،
وأكلت أرزهم،
وأكلت ثمارهم،
واحتسيت خمرهم،
خمر الأرز الشاحب،
وعرضوا لعينيَّ كل شيء،
بذات الأَنِفَة التي عَرِفتُها في رومانيا،
وعرفتها في المجر؛
إنها الأَنِفَة الجديدة،
أَنِفَةُ الفلاح
الذي يُبصِرُ الطحين لأول مرة،
على أضواءِ عالم الغد».
رياح آسيا - بابلو نيرودا

(1)

ما حَدَث في الصين ويحدث عبر تاريخها الطويل والتليد، خاصةً بعد استلام الحزب الشيوعي للسلطة هناك، أي بعد الثورة الصينية؛ لا يمكن مقاربته والنظر إليه إلا من زاوية الإبداع، الذي يعني فيما يعني إعادة بناء الحياة بمختلف جوانبها وفق رؤية مُفارقة لليوميّ وللعادي، أي ما يشبه كتابة قصيدة أو رواية أو رسم لوحة. فما حدث في الصين أو الذي يحدث لا يمكن النظر إليه إلا من خلال (الخيال) كفعلٍ إنسانيٍّ يتخطَّى حدود الواقع، وفي نفس الوقت ينهض عليه؛ فالتجربة الصينية تشير وبلا مواربة إلى تفجير خلَّاق لطاقات الإنسان ولطاقات الطبيعة ولطاقات التاريخ، لذلك كانت الصين وعلى الدوام في المخيلة الإنسانية تبدو كظاهرة تحوم على تخوم الإعجاز وترى أبعد مما يمكن أن تُوفِّرَه المعطيات المتاحة، فما حدث في الصين في ردم الهوة بين الريف والمدينة -على سبيل المثال- يجسِّد طاقةً عاليةً للحب... ورغبة أكيدة في إعادة بناء برؤية إبداعية خلَّاقة، لذلك يمكن القول إن الزعيم ماو تسي تونغ كان شاعرًا كبيرًا، نظر إلى وطنه وشعبه كورقةٍ ملونة كتب فيها هو ورفاقه السابقين واللاحقين قصيدتهم التي صارت مع مرور الأيام الصين التي نعرفها الآن.

الذي يزور الصين يلمس هذه الشاعرية في كل شيء؛ في الناس وفي العمارة، في الطعام وفي الفنون، في الثقافة والتقانة، في كل شيء تستطيع أن تلمس الوداعة والجمال وقوة الإنسان التي تَدَثَّرت بالحب والخير والجمال.

(2)

عين على الصين:
هو عنوان الكتاب الذي كتبه الصحفي النابه الأستاذ محمد عبد العزيز، وصدر عن المصورات في العام 2018.. الكتاب الذي يغطي اللون الأحمر غلافه، ويقع في حوالي الـ177 صفحة من القطع المتوسط، والذي يحتوي على 43 مقالة، يمكن تصنيفه ضمن (أدب الرحلات)، وهو أدب عَرِفَتهُ كل الثقافات ويجد اعترافاً عند دارسي الأدب والتاريخ والأنثربولوجيا وعلوم أخرى يضيق المكان عن ذكرها.. فأدب الرحلات الذي ينهض أساساً على انطباعات كاتبه أو كاتبته عن المكان الذي زاره أو زارته، يتخذ من السرد والحكي وسيلة له، وهنا تكمن أدبيَّته لأنه يحكي عن مشاهدات لأماكن وأحداث وبشر، وينهض على الكثير من المعلومات الحقيقية مما يجعله، وفي جوانب كثيرة، يشكِّل وثيقةً علميةً ومرجعاً للكثير من الدارسين لحياة وثقافة المكان الذي تمت فيه الرحلة.
«عين على الصين» الكتاب الذي يدخل من أوسع الأبواب في ذاكرة أدب الرحلات في السودان، وهو أدب لم تتوقف عنده كثيراً أقلام النقاد والدارسين. من بعض ما يلفتنا إليه هذا الكتاب، إضافة إلى المنجز من أدب الرحلات في السودان، وعلى سبيل المثال لا الحصر كالذي كتبه الطيب صالح أو أحمد حسن مطر في كتابه «سندباد من السودان»، أو يوسف محمد بشارة في كتابه «كوبا الجزيرة التي أحببت»؛ يلفتنا كتاب «عين على الصين» وبشكل أخص إلى كتاب المفكرة السودانية الفقيدة العزيزة خديجة صفوت الموسوم بـ(رحلة فتاة سودانية إلى الصين 1966)، الذي صدرت طبعته الثانية في العام 2006 عن دار السويدي للنشر والتوزيع في أبو ظبي.. يلفتنا بشكلٍ أخص لأن كتابها يغطِّي مرحلة مهمة من مراحل مسيرة الصين، ولأنه يلتقي مع كتاب عين على الصين في هذا الشغف الموضوعي بالتجربة الصينية. وبرغم تباعد السنوات، ها هو أدب الرحلات عندنا يحتفي مرة أخرى بالصين.

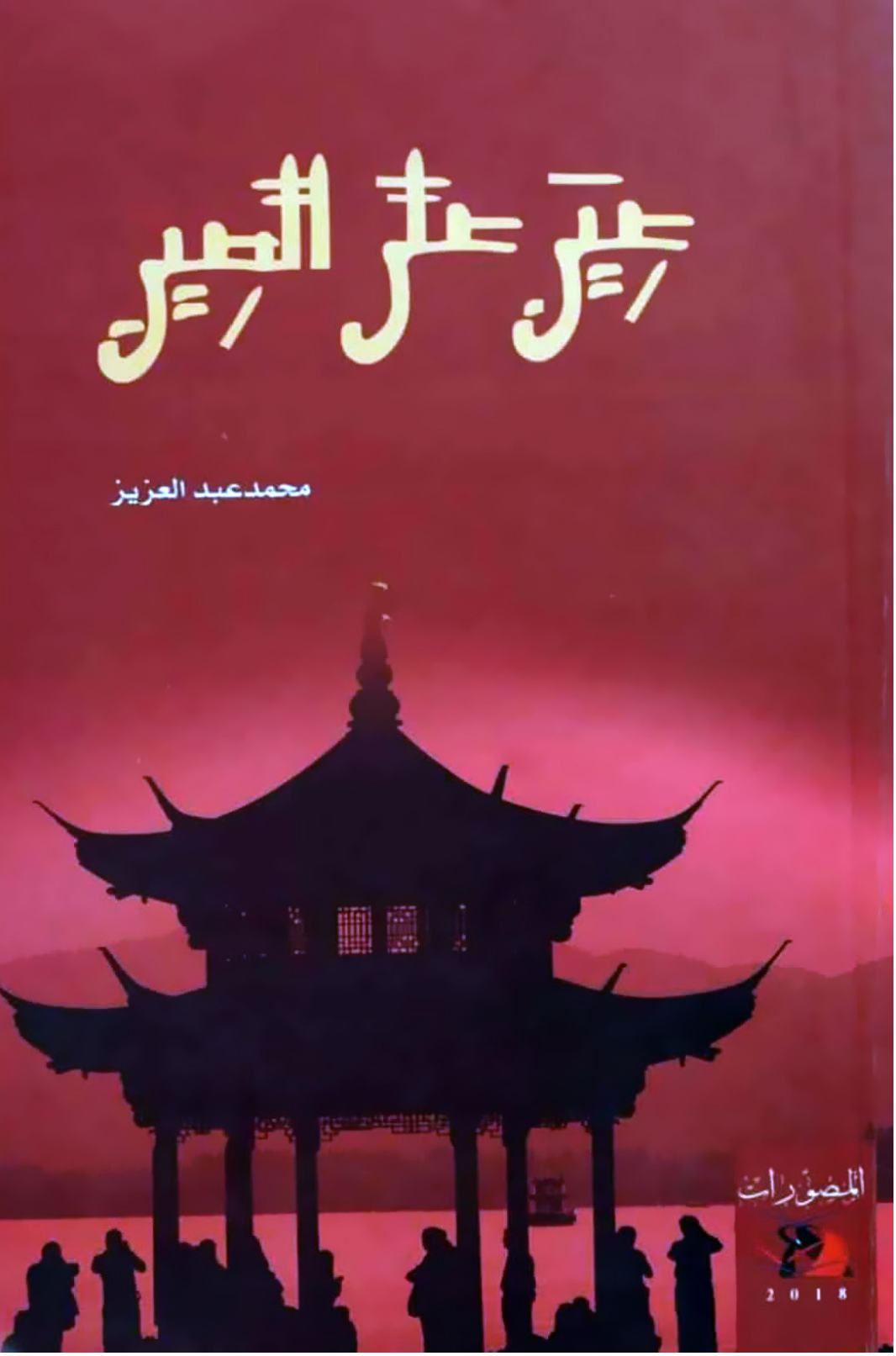

(3)

في «عين على الصين»، الذي هو عبارة عن حكاية تتوسل الأدب ولا تُهمل الحقائق الموضوعية، نَقِف على تجربة الصين الحديثة، وهي تجربة تُجسِّد وبجدارة فن إبداع الحياة؛ فهذه المقالات المتنوعة، التي تمزج بين ما يُمَثِّل تجربةً خاصةً لبعض الصينيين وما يمثل تجربة عامة يجسدها حضور الحزب الشيوعي الصيني، وما قام به من أدوار خلال مسيرته الطويلة. عبر هذه المقالات المتنوعة التي تكشف عن معرفة دقيقة لا تخلو من محبّةٍ تَوَفَّر عليها كاتبنا بتاريخ الصين وحاضرها وتحولاتها في مختلف المجالات، حتى أنه يمكننا أن نقول إن الصحفي محمد عبد العزيز بسفْره هذا قد حَرَّض على أن يكون لنا صحافيون متخصصون، كيف لا ونحن نسوح في هذا الكتاب تجدنا نمضي عميقاً في ذاكرة الصين مع الاستعمار وذاكرتها مع الثورة الصينية، حكاياتها وتضحياتها وأبطالها، نقف على التنمية بمفهومها الأشمل، نقف على التحولات الاقتصادية والاجتماعية، نقف على تجربتها في القضاء على الفقر، نقف على البطولة الصينية، نقف على أدوار الصين على مستوى العالم وفي إفريقيا تحديداً، نقف على تلك الشاعرية التي أَشِرتُ لها آنفاً لتبدو هذه (العين) ليست على الصين فقط وإنما على العالم من خلال موقع الصين فيه، الذي يُمثِّل بقعةً من الجمال في عالم يسعى لتكريس القبح عبر المشروع الرأسمالي المتوحش.

إن شاعرية التجربة الصينية، كما تتبدَّى في هذا الكتاب، هي في مقدرتها على تثوير إرثها الذي تَمَثَّل في الأخير -كما يقول الصينيون- في بناء «مشروع اشتراكي بخصائص صينية»، دونما إهمال لمنجزات العصر في المجالات كافة.

إن «عين على الصين» كتاب يمنحك المتعة والمعرفة، ويجعلك تُطلّ على كل العالم من نافذة تمنح الحلم قوّته، والأمل جماله، والعمل شاعريته، والخيال واقعيته.

إنه كتاب يمنح من زار الصين متعةً إضافيةً ومعرفةً أخرى، وقد زرت الصين مرتين، فيا لسعادتي.

ما لم يَبلُغِ الحُلمُ من شهقات النَّشيد

بابكر الوسيلة

داوني ببلادي
بهذي الَّتي ظلَّت على قلقي هي الدَّاءُ..
داوني بالنَّهر والوادي..
فقدتُ دمي..
إنَّما يَعرِفُ النِّيلَ من عشَّاقهِ الشُّهداءُ.

داوني بالصَّلوات على الأغنيات..
بشاي البيوت أمام نداءات أبوابنا.
نشكرُ الله على رحمة الحبِّ في الشَّجر العائليِّ
ونحمَدُهُ على نعمةِ الذِّكرياتِ
الَّتي تتورَّدُ كلَّ صباح..

داوني بقهوة أمِّي وأمِّ الغناء الصَّبوح
وغُنَّةِ فنجانها الأبيضِ بين النُّجوم..
داوني برُعاة التَّحيَّاتِ
من أوَّل الشَّارعِ حتَّى التَّغلغلِ في حُضنِهم
واحداً واحداً..
يا عُراةَ الحياةِ!
يا رعايا التُّرابِ بصدرٍ سليم!

داوني بطَلح النِّساء الكريمات
يَغلِينَ ميلادَ طفلٍ جديد..
ويَبلُغنَ ما لم يَبلُغِ الحُلْمُ من شَهَقات النَّشيد .

داوني بالكمنجات في شجر البان..
كنت صغيراً أُفكِّر أن أُصبِحَ
عصفورةً أو سكسفوناً في فِرقة الطَّيرِ،
أو أيَّ عازفِ غصنٍ لدى السَّيسبان.

داوني بالأزقَّة
بين خيوط البُيُوت
كلَّما شهقتْ طينةٌ في ليالي الحنين
لرائحة الحيِّ وهْيَ تُرَقِّصُ الأرضَ
على الشَّارع المحتقي
بزغرودةِ العائدين.

داوني بغناء الأساطير
تحت لساني..
كدتُ أنسى الطَّريقَ إلى النِّيلِ حيثُ كياني،
وكدتُ أنسى الطَّريقةَ في شارع النِّيلِ،
حيث يجلسُ فوق عُرس المكانِ المصير.
وكدتُ أتوهُ كمَن في القصيدة تاهُوا..
مرِضتُ كثيراً بدمع المُعزِّين..
في البال كان حدادي
يُؤَجِّلُ موتاهُ،
وكنتُ أحمِلُ عيشي
على الموكب المُتموِّجِ والمُتعرِّجِ
بين أناشيد نَعشي..
وأنا لا أقولُ سوى أغنياتِ الحصى
سوى صوتِ صدري
مثقلاً بالحنان الأمين.

داوني بالقصائد..
بالدَّمع من حفرة روحِ المُغَنَّى
فإن لاح في المَتن مَعنَى
فسيَكفيكهمُ الله شِعراً
يَتناولُه النَّاسُ كالخُبزِ بين الموائد.

داوني بالسَّرير
في آخِر الحوش..

أحلمُ أن أتزوَّجَ امرأتي مرَّةً ثانية..
وأن أُنجبَ منها ما أنجبَ الحبُّ منها،
وأن أُضيفَ لها نصَّاً من الدُّوش
في لحظات الهجير.. في القُبلة الدَّانية.

داوني بالظَّهيرة
زخَّةِ عطرِ العَرَق..
بالظِّلِّ يدعو الرَّواكيبَ إلى ما يُقيم ولائمَ للذِّكريات
ويكشف نبعاً من الأبديَّةِ بين كمائنِ هذي الحياة..
إنَّما العُمرُ من زمنٍ وانسرق.

داوني بالمشاوير في أوَّل اللَّيل..
هذا الفضاءُ يطولُ بنا يا صديقي
فاحتملْني قليلاً
مسافةَ أن أُصلِحَ ربطةَ هذا الحذاء..
ضاع منِّي التَّذكُّر
ووالله ما ضاعتِ الذِّكرياتُ
ولا ضاع منِّي شهيقي..
فأين سنمضي بقيَّةَ هذه الهجرةِ،
أو عند مَن؟!
فلا مطرٌ بانتظار القصيدةِ عند آخِرةِ الجمرة،
لا قمرٌ في احتراقِ الوطن.

داوني بالتقاء الأحبَّةِ في العَرَقِ المُتحَبحِب..
قد بكيتُ كثيراً من الشَّوق هذا المساء..
ولم ألقَ غيرَ ذكرى النِّساء
يُجدِّدنَ نبضَك يا صاحبي.

داوني بقريتنا
واللَّيلُ سائل..
قمرٌ عارفٌ بالمحبِّين..
أيُّ الرِّسالاتِ لم تصلِ القلبَ!
وأيُّ النَّسائم ما عرَفت في الحنينِ سبيلَ الرَّسائل!

داوني بالمواكب..
قد سكَبَ العمرُ أيَّامَهُ
لاخضرار البساتينِ من كلِّ نبعِ..

وارتكب القلبُ أحلامَهُ
بين دمعٍ ودمعِ..

ذهب الأحبَّةُ للشَّاطئ الآخَرِ،
ذهب الحُلمُ للشَّارع المتأخِّرِ،
ذهب النَّهرُ بتلك المراكب..
غير أنَّ القصيدةَ قد كتبتْ نفسَها
من دمِ العُمرِ،
من شِغافِ الضِّفاف،
من ذكريات الأحبَّة،
من موجة النَّهر بِعِيدِ الكواكب.

داوني بالنُّزُوح..
لا أبحثُ الآن عن وطنٍ،
إنَّني أبحثُ عن زمنِ الأصدقاء..
ولا أبحثُ عن كفنٍ،
إنَّني أبحث من بين هذي الجُرُوح..
عن بسمةِ موتٍ تليقُ بذاك اللِّقاء.

من رحم المعاناة ..
مدرب السودان يتفوق على عمالقة غانا ويحصد الذهب!

أكرا - أفق جديد

ملخص

في ليلة احتفالية استثنائية لكرة القدم الغانية، توّج كواسي أبياه، المدير الفني للمنتخب السوداني، بجائزة أفضل مدرب غاني لعام 2025، خلال حفل جوائز «أفضل مدرب في أفريقيا»، الذي أُقيم في قاعة «جراند أرينا» بمركز المؤتمرات في العاصمة الغانية أكرا. جاء هذا التكريم تتويجًا لعام حافل بالإنجازات اللافتة، خاصة مع منتخب السودان، الذي يشهد صحوة كروية غير مسبوقة تحت قيادته.

لم يكن فوز أبياه بالجائزة مفاجئًا للمراقبين، فقد قاد المنتخب السوداني إلى إنجاز تاريخي تمثل في التأهل إلى كأس الأمم الأفريقية 2025 بالمغرب، وذلك في ظل ظروف قاسية يعيشها السودان نتيجة الحرب والنزاعات الداخلية، والتي أثرت على البنية التحتية للرياضة بشكل عام.

ورغم هذه الظروف الصعبة والقاسية ، استطاع أبياه أن يصنع من منتخب «صقور الجديان» فريقًا صلبًا ومنافسًا شرسًا، تغلب على منتخبات قوية أبرزها منتخب بلاده السابق غانا، الذي حل خلف السودان في ترتيب المجموعة المؤهلة.

وقد وصف محللون أداء السودان بـ«الملحمي»، نظرًا للتماسك التكتيكي والروح القتالية التي زرعها المدرب الغاني في لاعبيه، رغم قلة الموارد وعدم انتظام الدوري المحلي.

لم تتوقف مسيرة أبياه عند حدود التأهل الإفريقي، بل امتدت إلى التصفيات المؤهلة لكأس العالم 2026. فخلال ست مباريات في التصفيات، حصد السودان 12 نقطة، بفارق نقطة واحدة فقط خلف المتصدر جمهورية الكونغو الديمقراطية، ليُبقي آمال السودانيين حيّة في الظهور الأول في تاريخهم بكأس العالم.

ويُعد هذا التقدم دليلاً واضحًا على أن مشروع أبياه مع السودان ليس وليد الصدفة، بل خطة طويلة المدى لصناعة منتخب قادر على المنافسة القارية والعالمية.

تفوق على كبار المدربين

جاء فوز أبياه بالجائزة بعد منافسة مع مدربين محليين قدموا مواسم قوية في الدوري الغاني، أبرزهم فريمبونج مانسو (مدرب بيبياني جولد ستارز)، وكاسيم أوكانسي (مدرب نيشنز إف سي)، وفيفي باركر هانسون (مدرب جولدن كيكس). إلا أن تأثير أبياه الإقليمي مع منتخب خارج حدود بلاده كان كافيًا لترجيح كفته.

رغم أن الحفل احتفى بكوكبة من النجوم الغانيين، مثل توماس بارتي (لاعب العام)، ورزاق سيمبسون (أفضل لاعب محلي وهدف العام)، فإن الإنجاز السوداني ظل حاضراً بقوة، خاصة مع الإشادات التي تلقاها أبياه من عدد من الحاضرين الذين اعتبروا أن ما قدمه مع السودان يمثل «نموذجًا يُحتذى به في تجاوز الصعاب بالإرادة والتخطيط»كما أنه يُعد نقطة تحول في كرة القدم السودانية، وقد يكون بداية لمسيرة استثنائية نحو كأس العالم 2026، وهو ما يحلم به الجمهور السوداني في الداخل والشتات.